الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي نور بشير – البيض–

معهد العلوم العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مطبوعة بيداغوجية

المقياس: تاريخ أوروبا الحديث

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

المستوى: السنة الأولى ماستر

السداسي: الأول

إعداد الأستاذ: صديقي عبد الجبار

الموسم الجامعي:2025-2026م/1446-1447هـ

تمهيد

يعد تاريخ أوروبا الحديث من أهم المقاييس التي يتناولها طلبة التاريخ في مرحلة الماستر، تخصص تاريخ الجزائر الحديث، خلال السنة الأولى بالنظر لأهميتها من أجل فهم هذه المرحلة التاريخية والإطلاع على إحدى أبرز المحطات التاريخية التي أثرت على شمال إفريقيا والجزائر خصوصا، ولبلوغ ذلك كان لزاما علينا تحرير مطبوعة تعليمية تأخذ بعين الاعتبار تأثير الأحداث التي عاشتها أوروبا خلال العصر الحديث وانعكاساتها الخارجية.

وحرصا منا على بلوغ الهدف من تدريس هذا المقياس عملت على أن تغطي هذه المحاضرات جميع جوانب الموضوع ، حيث تطرقت في البداية إلى أوضاع أوروبا في نهاية العصور الوسطى، ثم النهضة الأوروبية ما أعقبها من تداعيات شملت الكشوف الجغرافية والاصلاح الديني والثورة العلمية والأدبية، ناهيك بعصر التنوير والاستعمار الأوروبي.

ولتقديم مادة علمية موثوقة وموضوعية وعلمية اعتمدت على مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع والوثائق التي يمكن للطالب أن يستند عليها للمزيد من التعمق.

يبقى أن ننوه إلى أملنا في أن تحقق هذه المطبوعة الأكاديمية المبتغى منها وأن تكون إضافة ملموسة إلى جهود مؤسستنا في تقديم تكوين نوعي للطلبة.

محتوى المقياس:

- **المحاضرة 01: الانتقال منى العصور الوسطى إلى العصور الحديثة**
- **المحاضرة 02: النهضة الأوروبية**
- **المحاضرة 03: روافد النهضة الأوروبية**
- **المحاضرة 04: الحركة الثقافية والفكرية في أوروبا عصر النهضة**
- **المحاضرة 05: الحروب الدينية**
- **المحاضرة 06: الكشوف الجغرافية**
- **المحاضرة 07: الحركة الاستعمارية الأوروبية بين القرنين 16-17م**
- **المحاضرة 08: عصر التنوير الأوروبي**
- **المحاضرة 09 : الثورة الصناعية**
- **محاضرة 10 : الثورة المجيدة سنة 1688م**
- **المحاضر 11: الثورة الفرنسية 1798**
- **المحاضرة 12: الاستعمار الأوروبي بين القرنين 19-20م**

المحاضرة 01: الانتقال منى العصور الوسطى إلى العصور الحديثة

1- الآوضاع السياسية

– سقوط الامبراطورية الرومانية 476م وتفكك أوروبا إلى كيانات سياسية متناحرة تفتقد إلى حكم مركزي وتتميز في معظمها بالضعف مما فتح الباب أمام النبلاء والأقوياء لتحقيق مكاسب أكثر عن طريق الأراضي التي منحت لهم من طرف السلطة كوسيلة استرضاء، وفي ظل هذا الوضع وأمام تردي الوضع الأمني لجأت طبقة العامة إلى هؤلاء النبلاء من أجل حمايتهم وبذلك تأسست معالم واحد من أبشع أنظمة الاستغلال ممثلة في النظام الإقطاعي والذي أدى إلى آثار سياسية سلبية بسبب تزايدد نفوذ النبلاء أمام الأمراءمما أدى إلى مزيد من اللامن واللاستقرار[1].

– توسعات الملك شارلمان وظهور الامبراطورية الكارولنجية في إيطاليا وبافاريا وسكسونيا ومناطق السلاف في جنوب غرب أوروبا.

– تحول مملكة شارلمان الى ما يسمى الامبراطورية الرومانية المقدسة سنة 800م وعاصمتها أخن الألمانية بعد تحالف ومباركة من الكنيسة الغربية

– فشل الامبراطورية الجديدة بقيادة شارلمان في توحيد أوروبا[2]

2- الآوضاع الدينية

– مع تحول أوروبا من الوثنية الى المسيحية ما بين القرنين الرابع إلى العاشر ميلادي أضحت الكنيسة سلطة ذات نفوذ سياسي، اقتصادي، اجتماعي حتى أطلق عليهم أمراء الدين، وبسبب الامتيازات التي تحصلوا عليها واغداق الامبراطورية الاموال عليهم سادت حلة من الفساد داخل الكنيسة التي تحولت إلى رمز للاستغلال للفساد (البذخ ، تحريف الدين ، امتيازات ، .....) وبذلك

---

[1]– عبد اللطيف الصباغ، تاريخ أوروبا الحديث، ص04

[2]– كارلن ديجر، شارلمان، تر: الباز العريني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص167

أصبحت المؤسسة التي يفترض منه الإصلاح وحماية حقوق العامة أكثر فسادا حتى من بلاطات الأمراء أنفسهم.

– حرص الباباوات على إبقاء كرسي البابوية في روما لضمان تدفق الآموال من بقية أرجاء أوروبا وأمام تنامي نفوذ رجال الدين وسلطتهم سادت حالة من الصراع والتنافس بينهم وبين الملوك خلال القرون الخمس الأخير من العصور الوسطى.

– تنامي نفوذ البابوات الذين دخلوا في صراع مع السلطة السياسية خلال خمس قرون الأخيرة من العصور الوسطى .

– بسبب الامتيازات التي كان يحصلها رجال الدين جدث صراع مرير بينهم على منصب البابوية حتى أن بعض الفترات عرفت تولي أكثر من شخص لمنصب الباب في نفس الوقت ما أدى الى إضعاف الكنيسة وتنامي دعوات الثورة ضدها.

– شهدت القرون الأخيرة من العصور الوسطى حالة من تفشي الفساد وسوء الأخلاق بين رجال الدين الذين أصبحوا رموزا لاستغلال الديني عبر صكوك الغفران، والبذخ والمجون الذي ساد في أوساطهم[1].

– الإساءة للحياة الثقافية بالسيطرة على اللغة والمخطوطات والعلم ومعادات أي طرح مخالف واحتكار المؤسسات العلمية التي كانت موجهة لفئات محودة داخل المجتمع بمحتوى علمي يضمن سيطرة الكنيسة ويبعد عنها أي نزعة عقلية نقدية[2].

3- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية

– النظام الاقطاعي: كما أوردنا سابقا فإن تفكك الامبراطورية الرومانية إلى كيانات سياسية ضعيفة أدى بحكام تلك الكيانات إلى تقسيم الأراضي على النبلاء لاسترضائهم وكسب تحالفهم، والنبلاء دورهم استعانوا بالجنود لحماية تلك الاقطاعات الزراعية، وأمام تنامي حالة الفوضى وانعدام الأمن

---

[1]– فتح الدين بن أزوار، محاضرات في تاريخ النهضة الأوروبية، قسم التاريخ جامعة المسيلة، 2016–2017، ص08

[2]– عبد اللطيف الصباغ، المرجع السابق، ص04

لجأ العوام إلى العمل في تلك الاقطاعات مقابل الحماية والاغذاء وبذلك تشكل النظام الاقطاعي المكون من النبلاء، الجنود والأقنان والعبيد، في ظل هذا النظام الاجتماعي عاشت العامة أسوء أيامها إذا أصبحوا في حكم العبيد محرومون من الدراسة والتنقل والزواج، يفرض عليهم طوال ساعات اليوم بدون أي حقوق، ومن أكثر صور الاستغلال أن هذه الفئة المسحوقة التي تعمل من أجل القوت فقط فرضت عليها ضرائب.

– تعرض أغلب المجتمع الاوروبي للاستغلال من طرف الطبقة الارسقراطية .

ملاحظة : بدأت أوضاع العبيد تتحسن بداية من القرن 11م بسبب تنافس النبلاء على الزراعة، موت العديد منهم في الحروب الصليبية، هجرة العبيد الى المدن واقتحام مجال الصناعة والزراعة مما ساهم في تحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، وهو ما يعتبره بعض المؤرخين بداية لاضمحلال النظان الاقطاعي[1].

4– الآوضاع الثقافية

– تميزت هذه الفترة بهيمنة رجال الدين على اللغة اللاتينية لغة العلوم والكتابة التي كانت حكرا عليهم وعلى بعض الأدباء والفلاسفة الذين لا يخرجون عن دائرة توصياتهم ما تسبب في حالة من الركود والجمود نتيجة لتعذر وصول الناس للمعرفة.

– سيطرة الأديرة والأسقفيات على التعليم وما نجم عنه من تقييد للمعارف والعلوم التي انحصرت في اللاهوتيات وبعض أمور اللغة لأن الكنيسة كانت ترى في أي جديد فكري أو علمي تهديد لهيمنتها ومكانتها[2].

– بعض المعارف التي كانت متداولة كالنحت والهندسة والرسم كلها وجهت لخدمة الكنيسة ومؤسساتها ولم تخرج عن ذلك إذ ارتبطت كلها بالكنائس والكتدرائيات واللاهوتيات بصفة عامة.

---

[1]– فتح الدين بن أزوار، المرجع السابق، ص10

[2]– نفسه، ص13–14

- ملاحظة: بدأ الوضع الثقافي في التحسن من القرن 11 الى 13م مع ظهور الشعر، الأدب، الغناء الذي يناىء بنفسه عن الكنيسة وكذلك بوادر التأسيس للغات المحلية التي بدأت تأخذ أهمية أكبر على حساب اللاتينية والاغرقية.
- تأسيس جامعات خلال القرن 12 م (باريس ، اكسفورد ، بولونيا) حتى أن عددها بلغ 80 جامعة.
- القرن 12 بداية إحياء الثراث اللاتيني و الاغريقي والاحتكاك مع الثراث الاسلامي.

المحاضرة O2: مفهوم النهضة الأوربية وإرهاصاتها

1- مفهوم النهضة الأوروبية

تعرف بحركة التجديد والبعث والإحياء للحضارة القديمة اليونانية واللاتينية، كما توصف بتلك التحولات العميقة التي حدثت في أوربا في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والثقافية والعلمية بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر، ويذهب البعض في وصفها بأنها حركة احياء الدراسات القديمة وظهور الفكر العقلاني[1].

2- عوامل قيام النهضة الأوربية

- **دور الحضارة العربية الاسلامية**

إحتك الأوروبيون بالحضارة العربية الاسلامية وتواصلوا مع المسلمين عبر قنوات عديدة أهمها: الأندلس وصقلية والمشرق العربي والحروب الصليبية (1096-1198م)، وعلينا أن نعترف بدور الحروب الصليبية في هذا المجال، بدليل أن مظاهر النهضة الأوربية لم تظهر في الواقع الا في أعقاب العصر الصليبي، فرغم فشل أوروبا عسكريا في هذه الحروب، الا أنها استفادت منها حضاريا عن طريق الاحتكاك بحضارة المسلمين، فتغيرت نظرة الأوربيين اتجاه كثير من المفاهيم الاجتماعية (العدالة الاجتماعية) والاقتصادية (حرية التملك) والسياسية (الحرية المساواة، العدل) والفكرية (حرية الفكر وروح البحث) فظهرت مفاهيم جديدة ادت الى ظهور عصر النهضة ولنضرب مثلا على هذا التأثير في الجانب السياسي، نجد تغير نظرة الشعب الأوربي الى النظام الملكي، فقد تبدلت وأصبح يرى فيه انه رئيسا للحكومة عوضا انه رئيسا للاقطاع أدى به على مطالبه السلطة الملكية بتحديد صلاحياتها، توج بظهور المجالس (البرلمانات) فبدأت تزول فكرة أوروبا واحدة

[1]- عبد اللطيف الصباغ، محاضرات في تاريخ أوروبا الحديث، جامعة بنها، مصر، ص06

(العالمية) وفي المجال الاقتصادي فاننا كما نعلم أن الحروب الصليبية وفرت رخاء ماديا استفادت منه النهضة في خدمة الثقافة والفن و تنشيط الاقتصاد.

وفضلا عن هذه المناهج التي عرفتها أوروبا عن طريق الحروب الصليبية، فان الحضارة العربية الاسلامية وصلت الى البلاد الأوروبية منذ القرن الحادي عشر ميلادي عبر مراكز اشعاع حضاري ثلاثة هي: الأندلس، صقلية، والمشرق العربي وكما نعلم أن العالم العربي الاسلامي كان في ازدهار علمي عندما كانت أوروبا في ظلمات الجهل، تطورت فيه مختلف العلوم، كالفلك والرياضيات والطب، واطلع العرب واستفادوا من الرصيد الفكري للحضارة اليونانية من خلال عملية الترجمة والاعتماد على الفلسفة اليونانية في الجدل والنقاش[1].

لقد دام حكم العرب في صقلية مدة تزيد عن قرنين ونصف القرن نقلوا مناهج الحضارة الاسلامية، وغدت المنطقة من أهم الروافد الحضارية، ورغم حكم النورمان، فانهم تأثروا بحضارتها وحافظوا على صبغتها العربية، أما الأندلس التي حكمها العرب ثمانية قرون، غدت في ذلك الوقت منارة علمية وثقافية واشتهرت بالفلسفة والطب والرياضيات والأدب والشعر وكانت ملتقى للطلاب المسيحيين و المسلمين الذين نهلوا من أكبر مراكزها الحضارية العلمية (طليلة)، وكان من نتائج ذلك تخلص الأوروبيين من الفكر التقليدي الذي فرضته الكنيسة، أدى الى تحرر العقل الاوربي من الجمود والتقليد الذي ظل السمة الغالبة في العصر الوسيط وظهر أثر الحضارة العربية الاسلامية واضحا على الغرب الأوروبي في مجال الأدب والفلسفة والرياضيات والفلك والجغرافيا والفيزياء والكيمياء والطب والصيدلة[2] .

---

[1]– بن أزواو فتح الدين، المرجع السابق، ص 23

[2]– شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق، تاريخ أوروبا، المكتب الوطني لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000م، ص 07

- **ظهور المدن**

كانت أولى المدن التي ظهرت بأوربا في ايطاليا بين1050و1200م ميلادي، كالبندقية وفلورنسا وجنوة، وقد ازدهرت بسبب نمو التجارة والصناعة البسيطة، ما جعل الفرد الأوروبي يفر من الزراعة الى وظائف اقتصادية أخرى وفرتها المدينة، التي أصبحت تعج بحركة رؤوس الآموال والنشاط التجاري وشتى المهن والحرف، الأمر الذي أدى الى فقدان الطبقة النبيلة أهميتها، وكان هذا ايذانا بتفسخ نظام الاقطاع، الذي كان من أبرز العوامل وراء التخلف الإجتماعي والفكري الذي كانت تعيشه أوروبى.

ونظرا لنشاطها الاقتصادي وكثافتها السكانية، حدث نوع من التواصل الاجتماعي، وثم التخلي عن كثير من الحواجز والقيود التي فرضها النظام الاقطاعي فظهر أسلوب اجتماعي وفكري يختلف عما كان عليه في العصر الوسيط[1].

- **إنتقال بعض علماء القسطنطينية الى ايطاليا**

بعد فتح القسطنطينية على يد العثمانيين عام 1453م حدثت هجرة كبيرة من علماء هذه المدينة الى ايطاليا حاملين معهم الثرات الاغريقي (كتب، تماثيل، أدوات قديمة، .....) وتعاونوا مع علماء ايطاليا على بعث الحضارة اللاتينية واليونانية في قالب جديد، ومن أبرز هؤلاء العلماء، مانويل كريز لوراس الذي جاء من القسطنطينية وحاضر في جامعات فلورنسا و ميلان بين 1397-1400م، والعالم بساريون الذي جمع ستمائة وثيقة ونقلها الى ايطاليا. والعالمين الانسانيين "جورج الطرابزوني"

[1]- جيفري برون، تاريخ أوروبا الحدبث، ط1، تر: علي المزروقي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2006، ص142

و"ثيودور غازا" اللذين حاضرا في مختلف الأكاديميات الايطالية، وقد لعبا دورا في نشر الثقافة اليونانية[1].

- **اختراع الطباعة**

كان ذلك على يد حنا جونتبرج الالماني 1454م وما صاحب هذا الاختراع من قيام حركة واسعة تهتم بطبع الكتب النادرة والمخطوطات القديمة التي أصبحت في متناول الجميع وأدت كذلك الى انتشار الانتاج العلمي والأدبي و الحصول عليه بأثمان زهيدة[2].

- **إنحلال البابوية وضعف الكنيسة**

أصبح فساد الكنيسة واضحا للعيان باستغلال الباباوات نفوذهم الديني لخدمة مصالحهم وعيشهم حياة البذخ والترف، فانحرفوا عن واجبهم الديني، حتى وصل بهم الأمر الى محاربة العلم والعلماء بالوقوف في وجه الدراسات العلمية التي تخالف أفكارهم،وقد هيمنت الكنيسة طيلة العصر الوسيط على الحياة الفكرية والدينية والثقافية، هذا أدى الى ظهور شعور جماعي معادي للكنيسة وتصرفاتها المتناقضة مع مبادئ الدين المسيحي، الأمر الذي إنتهى بقيام فئة مثقفة أخذت على عاتقها مهمة اصلاح هذا الوضع[3].

- **الحركة الإنسانية**

الذين كانوا يعرفون بالعلماء الانسانيين الذين كانوا متحررين من القيود القديمة، فقاموا باحياء التراث اليوناني والروماني، واستفادوا منه في نقد الأوضاع الثقافية والسياسية والدينية، فأحدثوا ثورة

---

[1]– عبد العزيز نوار ومحمود محمد جمال، التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة حتى نهاية الحرب الباردة، دار الفكر العربي، مدينة نصر، 1999م، ص09

[2]– شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق، ص16

[3]– بن أزواو فتح الدين، المرجع السابق، ص27

على المفاهيم التي كانت سائدة في العصر الوسيط، ومن أبرز هؤلاء دانتي، بترارك، بوكاشيو، دافنشي، رفاييل، اراسموس، ميكافيلي[1].

[1]– عبد العظيم رمضان، تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ص65

المحاضرة الثالثة: روافد النهضة الأوروبية

1- دور الحضارة الاسلامية في النهضة الأوروبية

مثّلت الحضارة الإسلامية منذ القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي فضاءً علمياً وثقافياً متقدّماً أسهم بصورة مباشرة وغير مباشرة في تشكيل الأسس الفكرية للنهضة الأوروبية، فقد نشأت داخل المجال الإسلامي حركة علمية واسعة اتسمت بالتراكم المعرفي والانفتاح على التراثات السابقة، خصوصاً اليونانية والفارسية والهندية، حيث جرى نقل هذا التراث إلى اللغة العربية وإعادة صياغته ضمن رؤية نقدية وتجريبية جديدة[1].

وقد أدّت حركة الترجمة دوراً محورياً في انتقال هذا الإرث إلى أوروبا، فقد نشطت مراكز الترجمة، خاصة بعد سقوط طليطلة سنة 478هـ/1085م، لتصبح هذه المدينة أحد أهم الجسور الثقافية بين العالم الإسلامي وأوروبا اللاتينية، شارك في هذه الحركة مترجمون من المسلمين والمسيحيين واليهود، وبرزت أسماء مثل جيرارد الكريموني الذي نقل عشرات المؤلفات العلمية والفلسفية، من بينها أعمال ابن سينا والرازي والخوارزمي، إضافة إلى نصوص في الفلك والرياضيات والطب، كما ساهم قسطنطين الإفريقي في نقل مؤلفات طبية أساسية، بينما اتجه مترجمون آخرون إلى ترجمة القرآن وبعض الرسائل العلمية والكيميائية، مما يعكس اتساع دائرة الاهتمام الأوروبي بالمعرفة الإسلامية[2].

ولم تكن الترجمة مجرد نقل لغوي، بل كانت عملية معرفية معقدة ساهمت في إدخال مناهج علمية جديدة إلى أوروبا، فقد اعتمد المترجمون على وسائط لغوية متعددة (العربية، القشتالية، اللاتينية)، وهو ما جعل النصوص العلمية الإسلامية متاحة في الجامعات الناشئة في جنوب فرنسا

---

[1]- إسماعيل أحمد ياغي، أثر الحضارة الاسلامية في الغرب، ط1،، مكتبة العبيكان الرياض، 1997، ص24-25

[2]- سعيد عبد الفتاح عاشور، الحضارة الاسلامية،ط1، المعهد العالي للدراسات الاسلامية، القاهرة، ص180

وإيطاليا وإنجلترا، وبفضل هذه الترجمات، أصبحت مؤلفات مثل "القانون في الطب" لابن سينا و"الحاوي" للرازي مراجع أساسية في تدريس الطب الأوروبي لعدة قرون، واستمر تأثيرها حتى القرن السابع عشر.

كما امتد هذا التأثير إلى العلوم الدقيقة، حيث أسهمت أعمال الخوارزمي في إدخال علم الجبر إلى أوروبا، وهو ما شكّل تحولاً جذرياً في تاريخ الرياضيات، كذلك لعب ابن الهيثم دوراً حاسماً في تطوير علم البصريات عبر منهجه التجريبي القائم على الملاحظة والبرهان، وهو منهج أثر بعمق في علماء أوروبا مثل روجر بيكون وكبلر، وأسّس لاحقاً لروح العلم الحديث القائمة على التجربة.

وفي المجال الفلكي والجغرافي، استفاد الأوروبيون من مؤلفات الإدريسي والبيروني، حيث وفّرت الخرائط والجداول الفلكية (الأزياج) أدوات عملية للملاحة والاستكشاف، وهو ما ساعد لاحقاً في عصر الكشوف الجغرافية، أما في الكيمياء، فقد نقلت أوروبا عن جابر بن حيان أسس المنهج التجريبي في تحليل المواد وفصلها، وهو ما مثّل انتقالاً من الخيمياء التأملية إلى الكيمياء العلمية.

ولم يقتصر التأثير على العلوم النظرية، بل شمل أيضاً التكنولوجيا والصناعة والفنون، فقد انتقلت إلى أوروبا تقنيات صناعة الورق، والزجاج، والمنسوجات، والصناعات المعدنية، إضافة إلى عناصر معمارية وزخرفية إسلامية ظهرت في العمارة القوطية الأوروبية، مثل العقود المدببة والزخارف الهندسية.[1]

كما ساهمت الجامعات الإسلامية، خصوصاً في الأندلس، في ترسيخ نموذج المؤسسة التعليمية، وهو ما ألهم نشأة الجامعات الأوروبية مثل بولونيا وأكسفورد وباريس، حيث اعتمدت على مناهج دراسية مستمدة من الكتب العربية المترجمة[2].

---

[1]– بن أزواو فتح الدين، المرجع السابق، ص25

[2]– إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص67

إلى جانب ذلك، لعبت الرحلات العلمية دوراً مهماً في نقل المعرفة، حيث توافد طلبة أوروبا إلى الأندلس وصقلية لدراسة الطب والرياضيات والفلك، وعاد بعضهم ليصبحوا من رواد الفكر الأوروبي[1]، مثل جربرت دي أورياك الذي أصبح لاحقاً البابا سلفستر الثاني، وقد أدخل النظام العددي العربي إلى أوروبا وأسهم في تطوير التعليم العلمي فيها.

إن هذا التفاعل الحضاري لم يكن مجرد انتقال للمعرفة، بل كان تحولاً بنيوياً في العقل الأوروبي نفسه، حيث انتقل من التفكير التأملي اللاهوتي إلى التفكير العلمي التجريبي، ومن ثم يمكن القول إن النهضة الأوروبية لم تنشأ بمعزل عن العالم الإسلامي، بل كانت ثمرة تراكم معرفي طويل كان فيه الفكر الإسلامي حلقة وسيطة حاسمة بين الحضارات القديمة والعصر الحديث، وهو ما يجعل الحضارة الإسلامية أحد أهم المصادر التأسيسية للحداثة الأوروبية.

2-تأثير الحضارة الإغريقية على النهضة الأوروبية

تميّز الفكر اليوناني القديم بكونه أول محاولة كبرى في التاريخ الإنساني للانتقال من التفسير الأسطوري للعالم إلى التفسير العقلي القائم على التحليل والمنطق، فقد حاول الإنسان اليوناني أن يفهم الوجود والطبيعة والإنسان من خلال التفكير العقلاني بدل الاعتماد على الأساطير أو التفسيرات الغيبية، ومن هنا ظهرت الفلسفة بوصفها نشاطًا فكريًا قائمًا على التساؤل والنقاش والبرهان، وهو ما شكل نقطة تحول كبرى في تاريخ الفكر الإنساني[2].

[1] – شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق، تاريخ أوروبا، المكتب الوطني لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000م، ص 07

[2] – Mahmoud Gawdat Qabaha, The impact of Greek thought on the intellectual renaissance in Europe, Journal of Economic, Administrative and Legal Sciences, Vol 7, Issue 5 , 2023, P 38 - 24

وقد برز في هذا السياق عدد من الفلاسفة الذين أسسوا لبنية الفكر الفلسفي الغربي، مثل سقراط الذي ركز على المنهج الحواري في الوصول إلى الحقيقة، وأفلاطون الذي اهتم بعالم المثل وبناء نموذج فلسفي شامل للمعرفة والمجتمع، وأرسطو الذي وضع أسس المنطق الصوري واهتم بتصنيف العلوم وربطها بالملاحظة والتجربة، وقد شكلت هذه الإسهامات أساسًا قويًا للفكر العقلاني الذي سيعاد إحياؤه لاحقًا في أوروبا[1].

إلى جانب الفلسفة، أسهم اليونانيون في تطوير العلوم بشكل ملحوظ، خاصة في مجالات الرياضيات والهندسة والفلك والطب، فقد وضعوا قواعد رياضية وهندسية لا تزال تُدرّس حتى اليوم، كما حاولوا تفسير الظواهر الطبيعية بطريقة عقلية منظمة، وهو ما يمثل بداية التفكير العلمي القائم على الملاحظة والاستنتاج، كما ظهرت لديهم محاولات مبكرة لتنظيم المعرفة وتقسيمها إلى مجالات مختلفة، وهو ما مهد لاحقًا لتطور العلوم الحديثة[2].

أما في المجال السياسي، فقد قدمت الحضارة اليونانية تجربة مميزة تمثلت في نشوء نظام سياسي في مدينة أثينا يقوم على مشاركة المواطنين في اتخاذ القرار السياسي، ورغم محدودية هذه التجربة مقارنة بالمفاهيم الحديثة للديمقراطية، إلا أنها شكلت خطوة مهمة في تاريخ الفكر السياسي، إذ طرحت فكرة أن الحكم يمكن أن يكون قائمًا على مشاركة الأفراد وليس على السلطة المطلقة.

انتقل هذا الإرث اليوناني إلى أوروبا عبر مراحل تاريخية متعددة ومعقدة، فقد ساهمت الحضارة الرومانية في الحفاظ على جزء من هذا التراث ونقله، كما لعبت الحضارة الإسلامية دورًا بالغ الأهمية في حفظ النصوص اليونانية وترجمتها وشرحها وتطويرها، خاصة في مجالات الفلسفة والطب

---

[1]– لطفي يحيا، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991، ص17–18

[2] – Qabaha, opid, P30

والرياضيات، وقد أعيد نقل هذا التراث إلى أوروبا عبر الأندلس وصقلية، حيث بدأ الأوروبيون في التعرف من جديد على الفكر اليوناني[1].

ومع نهاية العصور الوسطى، شهدت أوروبا تحولات عميقة مهدت لظهور عصر النهضة، فقد تراجعت سلطة المؤسسة الدينية تدريجيًا، وبدأت تظهر ملامح فكر جديد يعتمد على النقد وإعادة النظر في المسلمات القديمة، كما ساهمت التحولات الاقتصادية والاجتماعية، مثل نمو المدن وظهور الطبقة البرجوازية، في خلق بيئة فكرية أكثر انفتاحًا. وكان لاختراع الطباعة أثر كبير في تسريع انتشار الكتب والمعارف، مما ساعد على توسيع دائرة الاطلاع على التراث الكلاسيكي.

في هذا السياق، أعاد مفكرو عصر النهضة اكتشاف التراث اليوناني وتوظيفه في بناء رؤية جديدة للعالم، فقد تم إحياء الفلسفة اليونانية وإعادة قراءة أعمال الفلاسفة الكبار، مما ساهم في تعزيز الفكر العقلاني، كما استفادت العلوم الأوروبية من الأسس الرياضية والهندسية التي وضعها اليونان، وتم تطويرها لتصبح جزءًا من الثورة العلمية لاحقًا، وفي مجال الفن والعمارة، عاد الاهتمام بالنماذج الكلاسيكية التي تقوم على التوازن والانسجام والجمال، وهو ما ظهر بوضوح في فنون عصر النهضة. كما تأثر الفكر السياسي الأوروبي بالمفاهيم اليونانية المتعلقة بالمشاركة والحكم والعقلانية في تنظيم الدولة[2].

وبذلك يمكن القول إن الفكر اليوناني لم يكن مجرد مرحلة تاريخية انتهت، بل كان عنصرًا حيًا استمر تأثيره عبر العصور، وأعاد تشكيل نفسه داخل سياقات حضارية مختلفة حتى وصل إلى أوروبا في عصر النهضة. وقد شكل هذا الفكر أحد الأعمدة الأساسية التي قامت عليها الحضارة

---

[1]– بن أزواو فتح الدين، المرجع السابق، ص24

[2] –Qabaha, opid, P34

الأوروبية الحديثة، من خلال ترسيخ قيم العقل والنقد والبحث العلمي، وهي القيم التي ما تزال تؤثر في الفكر الإنساني إلى اليوم.

المحاضرة 04: الحركة الثقافية والفكرية في عصر النهضة

أشرنا الى أن نهاية العصر الوسيط شهد تحولا نسبيا في مجال العلوم لكنها لم ترق إلى تلك الحركة العليمة التي عرفتها الحواضر العربية الاسلامية المجاورة لأوروبا الا بعد تواصل الأوروبيين مع هذه الحواضر في نهاية العصر الوسيط الذي بدأت تتشكل فيه نواة حياة علمية، فظهرت الجامعات التي كانت تدرس بعض العلوم الا أن أسلوب التدريس لم يكن يعتمد على المنهج العلمي كما سيحدث في عصر النهضة وهو العصر الذي اعتمدت فيه الدراسات العلمية على الفرضيات والتجارب وتطبيق النتائج الايجابية على مختلف الحالات، وما صح مكنها يعتمد في النظريات العلمية، والنظرية العلمية حسب التطبيقات التي تثبت صحتها من عدمه، وهذا كما نعلم منهج الدراسة السليم عند العرب في العصور الوسطى الذي وصلوا به الى نتائج باهرة، أسسوا من خلاله العديد من العلوم، كالجبر و الفلك والطب والكيمياء ودرسوا الضوء واخترعوا الالات[1] .

وقد استفاد الأوروبيون –في عصر النهضة– من هذا المنهج العلمي التجريبي بفضل الانجليزي "ألسي فرنسيسن بيكون" (1561–1626م) في كتابه الشهير " الادارة الجديدة" شرح فيه خطوات البحث بناء على المشاهدة وجمع البيانات وتقسيمها وترتيبها واستخدام التجارب للوصول الى الحقائق وأدى انتشار هذا المنهج الى كثرة استخدامه من طرف العلماء فتوصلوا الى نتائج هامة في كثير من الأبحاث والدراسات[2] وظل اتجاها علميا قائما بذاته،وظهرت مدرسة البحث العلمي والطريقة التجريبية على يد فرنسيس بيكون التي تشكلت نواتها في التطبيقات الاولى لهذا المنهج على يد العالم الانجليزي روجر بيكون (1214–1294م)، و أبحاث ليونارد دافنشي (1452–1519م)[3] الذي دشن بمنجزاته العلمية القائمة على المنهج التجريبي عصرا جديدا في أوروبا، اذ هو من العلماء

---

[1]– بن أزواو فتح الدين، المرجع السابق، ص42

[2]– شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق، ص19–20

[3]– عبد الفتاح حسن أبو علية تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ط2، دار المريخ، الرياض، 1993م، ص36

الاوائل في عصر النهضة الذين طبقوا التجربة وشرحوا أسسها النظرية فقد قال بأن التفكير الحديث ينقسم الى شطرين: الملاحظة والتجربة، والشطر الثاني هو اشغال الفكر والحجة، هذه الأفكار هي التي أقام عليها "كوبرنبك" نظريته في اثبات دوران الأرض حول الشمس.

وفي الواقع دافنشي سابقا على عصره في كثير من العلوم والنظريات التي وضع أسسها، رغم أنه كان من ألمع الفنانين في عصر النهضة، فقد ارتبط اسمه بمدرستين المدرسة الطبيعية في الفن و مدرسة الخيال العلمي في الحياة، فالمدرسة الطبيعية درس فيها بالتفصيل علم التشريح وعلم البصريات وعلم الجيولوجيا، أما مدرسة الخيال العلمي فقد درس فيها قوانين الرياضيات و الميكانيكا والطبيعة والكيمياء ليعرف أسرار الحركة والسكون ومركز الثقل والقدرة والمقاومة في اليابسة والماء.

لقد حكم دافنشي بالبطلان على جميع العلوم التي لا تعتمد التجربة، وكان سباقا في وضع أسس الميكانيك قبل العالم الايطالي جاليليو بمدة مائة سنة[1] اذ أنه طور تصميمات توربينات الماء والهواء المضغوط بالمنفاخ لتسيير الطوابين وصمم مدفعا ينطلق بضغط البخار، والات لرفع الماء وأخرطة الخشب وألة الغزل، ومايشبه الة الطباعة، وكان أهم اختراع ميكانيكي له هو ألة للطيران لها أجنحة وذيل تركب على الطيار، كما وضع تصميما للطائرات العمودية.

درس كذلك دافنشي قوانين الأجسام، فسبق جاليلو ونيوتن في اكتشاف الجاذبية، ترك أبحاثا متعلقة بمركز الثقل والروافع والقوة والمقاومة والقصور الذاتي والقوة المحركة قبل ان يكتب جاليلو في هذه المسائل العلمية وقبل ان يضع نيوتن نظرياته حول الجاذبية.

في الرياضيات اكتشف دافنشي قياس المساحة عن طريق حساب المثلثات من نقطتين مرتفعتين لانجاز الخرائط المساحية[2] كما درس علم الجيولوجيا وبحث في توازن السوائل وجريان المياه

---

[1]– بن أزواو فتح الدين، المرجع السابق، ص42

[2]– لويس عوض، ثورة الفكر في عصر النهضة الأوروبية، ط1، مركز الأهرام للنشر والترجمة، 1987، القاهرة، ص198–200

تحت سطح الأرض ولاحظ العلاقة بينهما وبين الموجات المائية والموجات الهوائية، وفي مجال الطب برع في علم التشريح وترك مئات من الرسوم التشريحية، مزج فيها بين الطب و الفن، حيث صور العظام و العضلات والأوعية الدموية والآعصاب ويمكن ان يكون استقى هذا العلم من مؤلفات ابن سيناء التي كانت تدرس في جامعات أوروبا امنذاك ككتاب "القانون في الطب"، لأن دافنشي كان يطلع على الأعمال العربية العلمية المترجمة الموجودة في رفوف المكتبات الجامعية بأوروبا. وهكذا كما قال المؤرخون ان دافنشي اضافة الى كونه فنانا، كان عالما ومخترعا، متقدما على عصره بعدة قرون،حتى صنف بأنه أبو العلوم[1].

إن الفرق بين العصر الوسيط وعصر النهضة يظهر جليا في حقل العلوم، التي تطورت دراستها وخرجت بنظريات و أبحاث جديدة مستلهمة في ذلك –كما ذكرنا– المنهج التجريبي و مستفيدة من التجارب العربية واليونانية العلمية، فمثلا في الطب نجد أن التشريح كان معروفا عند اليونا ن الا أنه اندثر خلال العصور الوسطى، لأن الكنيسة حرمت تشريح الجتث الادمية خوفا من عذاب الاخرة لذلك كان التشريح مقتصرا على الحيوانات فقط وكانت اول عملية تشريح في ايطاليا (1286م) بسبب وفاة شخص بمرض الطاعون، ثم ظهرت محاولة أخرى في بوبونيا (1302م)، لتظهر أول دراسة علمية بصدور كتاب "موندنيوس" (1270–1326م) بعنوان "علم التشريح" باللغة اللاتينية (1316م)، استقى معلوماته من التجربة العربية، وقد درس الكتاب أعضاء جسم الانسان ووظائفها وفي خطوة علمية اعترفت جامعة فلورنسا بعلم التشريح (1387م)، ثم اعترفت به جامعة بولونيا (1405م)، فجامعة لادوا (1429م)[2].

ولم يكن علم الجغرافيا بعيدا عن هذا التطور الذي عرفه الطب فقد قام الأوروبيون بترجمة كتب بطليموس في بولونيا الى اللاتينية واطلعوا على كتابات ماركوبولو، وبدأوا يقتنعون بكروية

---

[1]– عمر عبد العزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992، ص26

[2]– لويس عوض المرجع السابق، ص186

الأرض وهي الفكرة التي سبقهم بها العلم العربي الجغرافي من خلال كتابات المسعودي والادريسي وابن حوقل وكان نتيجة ذلك تبلور فكرة الكروية وشكل الأرض لدى الاوروبيين وهي نظرة جديدة مقارنة بالأفكار الجغرافية الخاطئة التي كانت سائدة في اوروبا، خاصة بعد ظهور علماء وضعوا حسابات ونظريات بحرية وفلكية أفادت علم الجغرافيا بل كانت أرضية للكشوفات الجغرافية وما رحلتي كلومبس وماجلان إلا نتائج لما وصلت اليه الأبحاث الجغرافية الاوروبية في عصر النهضة.

ومن العلوم الأخرى التي شهدت تحولا، علم الفلك ومن أبرز أعلامه في ايطاليا: العالم الفلورنسي "توسكانيلي" (1397–482م) الذي درس حركة القمر والشمس والنجوم واستخلص منها مجموعة من الاراء وافقه فيها كريستوفر كلومبس، اخترع "توسكانيلي" الساعة الشمسية، كانت من أعجب الالات الفلكية التي عرفها العالم، وقد عرف عصر النهضة ثورة في علم الفلك بعد ظهور ثلاثة اعلام عاشوا في قلب أحداث النهضة، وهم كذلك رياضيون بقدر ماكانوا فلكيين، و نعني هنا العالم كوبرنيك (1473–1543م)، والفلكي الايطالي جاليلو (1564–1642م)، وعالم الفلك الألماني كبلر (1571–1630م) [1] .

لقد اكتشف كوبرنيك حركة الكواكب المزدوجة حول الشمس وحول نفسها كشف ذلك في كتابه الشهير "ثورة الآفلاك السماوية" (1453م)، توصل فيه بعد عدة تجارب الى نظرية مفادها أن الأرض تدور حول الشمس، فدحض بها النظرية القديمة لبطليموس (الشمس هي التي تدور حول الارض)، أما جاليلو فقد اكتشف قانون تذبذب الأجسام وقانون الأجسام الساقطة، وابتكر قانون القصور الذاتي، كما اكتشف البقع الشمسية وقوانين المد و الجزر، وبعض التوابع التي لم يعرفها علم الفلك الأوروبي، واخترع التليسكوب والميكروسكوب، وناضل في حياته العلمية للدفاع عن نظرية كوبرينك ولقى جزاء ذلك تنكيلا من طرف الكنيسة[2].

---

[1]– بن أزواو فتح الدين، المرجع السابق، ص46

[2]– لويس عوض المرجع السابق، ص273

وكان جاليلو عالما مطبقا، استعمل الموازين والمقاييس والعدسات والتليسكوب،واخترع مسطرة حاسة كان يسميها:الرجل الهندسي"، استعملت بعد ذلك على نطاق واسع في حساب اللوغارتميات، كما اخترع مقياسا للحرارة ، وقد لاحظ جاليلو بأن الأجسام الساقطة تزداد بسرعة كلما ابتعدت عن نقطة السقوط، قائلا في هذا المجال: بأن الحركة الطبيعية هي حركة واحدة وهي الحركة الهابطة، بمعنى ان لكل جسم عند جاليلو وزن وعليه فهو يتجه طبيعيا بحكم وزنه الى مركز الأرض مخالفا بذلك أرسطو الذي قال بأن الحركة هي نوعان: هابطة (حركة الأرض والماء) وصاعدة (الهواء والنار). وقد استعمل جاليلو منظاره في دراسة نجوم السماء ووصف من خلاله سطح القمر واكتشف كوكب جوبتر والمشتري وأقماره التابعة، وقد لخص كل أعماله العلمية في الفلك والميكانيك والفيزياء في كتابين شهيرين هما : " حوار العلوم الحديثة" و "رسالة في الميكانيكا".

ولعلنا هنا نكتشف أهمية المنهج العلمي الذي اعتمده علماء عصر النهضة، به وصلوا الى هذه النظريات و الاكتشافات، منهج يقوم على المبدأ التجريبي وأهمية الرياضيات، وتجاوز العلم الأرسطي وكما لاحظنا كان مؤيدوا هذه الافكار كل من جاليلو وكوبرنيس وفرنسيس بيكون، أدى هذا المنهج الجديد الى انجازات عظيمة في مجالات الفيزياء والفلك والأحياء والتشريح[1].

[1]– بن أزواو فتح الدين، المرجع السابق، ص47

المحاضرة 05: الحروب الدينية في أوروبا

1- حركة الإصلاح الديني

عاش المواطن الأوروبي خلال العصور الوسطى تحت رحى الفقر والتشرد والاضطهاد، فلم يكن أمامه سوى الأمل في حياة أفضل في العالم الآخر، وذلك عن طريق التخلص من الآثام التي اقترفها في حياته، ولم تكن ثمة طريقة لفعل ذلك سوى شراء صكوك الغفران التي كانت تُباع علنًا بمقابل مادي من طرف كبار رجال الكنيسة التي ادّعت ملكيتها لمفاتيح الجنة حصرًا.

ظلت الأمور على حالها حتى إنطلاق حركة الإصلاح التي قادها الراهب الألماني وأستاذ علم اللاهوت مارتن لوثر الذي أعلن نقده الصريح لتصرفات الكنيسة الاستغلالية والفساد المستشري بين أجهزتها في 31 أكتوبر عام 1517 عبر إصدار وثيقة مكونة من 95 بندًا يرفض فيها مجملًا تصرفات الكنيسة.

لم يكتف لوثر بإصدار الوثيقة، بل قام بتعليقها على باب كنيسة "فيتينبرغ" بألمانيا بعد أن انتابه الغضب الشديد من تصرفات البابا، وطلب مجادلة علانية أمام الناس، وكان من أبرز أفكاره التي نادى بها:

- الغفران هدية من الله يمنحها لمن يشاء، وليس مقابل مبلغ من المال.
- لا يملك البابا وحده حق تفسير الكتاب المقدس، بل إن لكل مسيحي يملك إيمانًا مخلصًا بالمسيح الحق في تفسير الكتاب.
- لا يوجد مانع من زواج القساوسة[1].

لم تكن وثيقة لوثر لتنتشر، لولا اختراع الطباعة على يد "جوتنبرغ" سنة 1440م، فبدلًا عن نسخ الكتب يدويًا بتكلفة مادية كبيرة مثّلت الطباعة تحولًا جذريًا في حياة البشر، ومكنت لوثر من طبع وثيقته بالآلاف من النسخ وتوزيعها على الفلاحين الفقراء، والشباب الألماني الغاضب من تصرفات الكنيسة، وسرعان ما انتشرت بين العامة، وبدأت دعوته تجتذب الكثيرين ممن عانوا من

---

[1]- شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق، تاريخ أوروبا، المكتب الوطني لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000م، ص47

تسلط الكنيسة، وبحلول عام 1518م أصبحت الوثيقة إحدى أكثر الكتب انتشارًا في التاريخ؛ لدرجة أن واحدًا من بين كل ثلاثة ألمان كان يمتلكها[1].

وصلت الأنباء سريعًا إلى البابا في روما الذي طالب بمحاكمة سريعة للوثر، ولعنه، واتهمه بالهرطقة والخروج عن المسيحية لكن مارتن لوثر لم يرضخ لتهديد البابا، وأمسك بوثيقة الحرمان، وقام بحرقها أمام جماعة من العامة المؤيدين له، وبحلول عام 1521م وقف لوثر في محاكمة علنية أخرى أمام الملك "تشارلز الخامس" إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة التي كانت تضم ألمانيا، وبعض المناطق المجاورة، لكن مارتن لم يُجب على الأسئلة الموجهة له، وأعلن إيمانه بالكتب التي نسب له، ومسؤوليته عنها، وناشد الأمراء الألمان الحاضرين باتباعه لتطهير الكنيسة مما هي عليه، والتحرر من سُلطة البابا في روما والقيام بثورة إصلاح ديني، وقد لاقت دعوة لوثر صدى لدى بعض أمراء ألمانيا الذين أرادوا الخروج من عباءة روما؛ فأنقذه حاكم ساكسوني من الإعدام، وآواه عنده[2].

2- بداية الصراع الديني بين الكاثوليك والبروتيستانت

في عام 1524م اندلعت ثورات عنيفة من قِبل الفلاحين الساخطين على الاستغلال السلطات الكاثوليكية لهم، والتي سرعان ما بدأت بقمع انتفاضة الفلاحين، وقتلت منهم ما يقارب 200 ألف شخص، في أول صراع ديني بروتستانتي كاثوليكي تشهده أوروبا.

لم تستطع الغالبية العظمى من الكاثوليك احتواء دعوة لوثر ولا أتباعه الذين أُطلق عليهم البروتستانت نسبة إلى الكلمة الإنجليزية المحتجون وكان عددهم في تزايد مستمر إلى أن امتلكوا أراض وكنائس، وأصبح لهم صوت مسموع في ألمانيا، لذا قامت بين الطائفتين الكثير من الصراعات، ما حدا بالامبراطورية الرومانية المقدسة إلى عقد مؤتمر "أوغسبورغ" عام 1555م، والذي أنهى

---

[1]- عبد اللطيف الصباغ، المرجع السابق، ص28

[2]- شوقي الجمل، المرجع السابق، ص49

"نظريًا" الصراع بين البروتستانت والكاثوليك، ونص صراحًة على أن يختار أمراء الولايات الألمانية (225 أميرًا) ديانة كل المناطق التي يحكمونها، كل حسب اعتقاده، إما لوثريّ أو كاثولكيّ[1].

لم يمنع قمع السلطات في الإمبراطورية الرومانية المقدسة البروتستانتيين من الانتشار في أرجاء أوروبا؛ إذ وصلت بالفعل دعوات لوثر إلى فرنسا بحلول عام 1520م، أي بعد ثلاث سنوات فقط من ظهور وثيقة لوثر ذات الـ95 نقطة، واعتنق العديد من الفرنسيين البروتستانتية، وحاولت السلطات احتواء الطرف الجديد الدخيل على المجتمع الفرنسي الذي بدأ في الانتشار أكثر داخل المجتمع الفرنسي، وفي عام 1562م اندلعت حروب دينية متتالية في فرنسا كانت بدايتها بوضع البروتستانت منشورات ضد الكاثوليكية في الشوارع، فقاموا بالرد عليهم من خلال سلسلة من عمليات القتل التي استمرت في ثماني حروب متتالية خلّفت 2 مليون قتيل، كانت أكثرها بشاعة ما عُرف بمذبحة سان بارتولوميو[2].

كانت فرنسا عام 1572م في ذروة التوتر الديني بين الغالبية الكاثوليكية والأقلية البروتستانتية، وكان النمو المتزايد للبروتستانت قد أشعر الملك شارل التاسع ووالدته بالخوف من تهديد عرشهم؛ فأعطوا يوم الـ24 أوت عام 1572 الأوامر للعديد من الجنود والأهالي المتطوعين بقتل كل بروتستانتي تقع عليه أعينهم، في واحدة من أكثر الليالي المفزعة التي شهدتها فرنسا في تاريخها، دقت أجراس الكنائس مبكرًا هذه الليلة، ونادى القساوسة بقتل كل بروتستانتي، واعتباره خارجًا عن المسيحية، ولا يؤمن بيسوع المسيح، وعلى إثر الدعوة خرج الجنود والأهالي للشوارع واقتحموا البيوت ليقتلوا كل من يقابلهم من البروتستانت رجالًا ونساءً وأطفالًا، وحين علم البروتستانت بذلك بدأوا بالهرب ناحية أقاربهم، فلم يسلموا من القتل أيضًا، وراح ضحية المجزرة بالتقديرات الحديثة ما بين خمسة إلى 30 ألف قتيل، كنا شهدت السنوات اللاحقة المزيد من المذابح والصراعات الدامية في فرنسا؛ كمحاولة

---

[1]– عبد الفتاح أبو علية، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ط3، دارالمريخ، الرياض، 1993، ص97

[2]– عبد اللطيف الصباغ، المرجع السابق، ص33

للقضاء على الأقلية البروتستانتية، إلا أن البروتستانتية لم تمُت، وأُجبر قادة فرنسا بعد ذلك على الاعتراف بحرية البروتستانت في عبادتهم؛ فانتهت تلك الحروب الدينية بصلح "نانت" عام 1598م والذي نص على حرية ممارسة العقيدة لكلا الطرفين[1].

3- حرب الثلاثين عامًا

في عام 1618م وقعت سلسلة من الحروب الدينية بين المسيحيين الكاثوليك والبروتستانت، بدأت شرارتها في ألمانيا، وامتدت بعد ذلك لتشمل مناطق واسعة من أوروبا، راح ضحيتها أكثر من 8 ملايين قتيل، وخلّفت وراءها دمارًا واسعًا في المدن والقلاع، وهي الحرب التي عُرفت فيما بعد بحرب الثلاثين عامًا، ووصفها المؤرخون بإحدى أطول وأعنف الصراعات في التاريخ البشري، وأكبر حرب دينية في تاريخ أوروبا، والتي كان لها أبلغ الأثر في تشكل أوروبا الحالية التي يراها البعض الآن باعتبارها مهد التسامح الديني والتنوع العرقي.

بدأت شرارة الحرب حين أرسل وليّ العهد للإمبراطورية الرومانية المقدسة، والملك المنتظر «فرديناند الثاني»، الكاثوليكي الديانة، اثنين من مبعوثيه إلى بوهيميا (التشيك حاليًا) ذات الغالبية البروتستانتية؛ ليقوما بتصريف الأمور بدلًا عنه، فقام أهالي براج المتعصبين بمحاكمتهما صوريًا وإلقائهما من النافذة من على ارتفاع 20 مترًا، إلا أنهما لم يموتا؛ إذ تصادف إلقاؤهم مع وجود كومة كبيرة من السماد على الأرض؛ فنجيا من الموت.

بعد تلك الحادثة اندلعت الثورة البوهيمية التي استمرت حتى عام 1620 بين البروتستانت والإمبراطورية الرومانية المقدّسة بقيادة فرديناند الذي أصبح ملكًا للبلاد، وبعد وقوع الكثير من الضحايا نجحت قوات فرديناند المدعومة من ابن أخيه الملك فيليب الرابع ملك إسبانيا في القضاء على الثورة وإلحاق هزيمة كبرى بالبروتستانت[2].

---

[1]- عبد اللطيف الصباغ، المرجع السابق، ص34

[2]- عمران شاكر الدوري، حرب الثلاثين عاما 1618-1648م، مجلة ، المجلد10، العدد38، جامعة سامراء، 2014،ص91

بعد القضاء على الثورة البوهيمية تدخلت الدنمارك ذات الغالبية البروتستانتية في الحرب، وطلبت دعمًا من فرنسا، فقامت بإمدادها بالمال في مفارقة تاريخية غريبة؛ إذ إن فرنسا كانت تدين بالكاثوليكية كديانة رسمية لها، والإمبراطورية الرومانية المقدسة التي ستحارب ضدها كانت كاثوليكية أيضًا، لكن السياسة لعبت دورها الأكبر حينها، فكانت كراهية فرنسا لعائلة "هابسبورغ" التي ينتمي إليها فرديناند أكبر من كراهيتها للتحالف مع البروتستانت؛ فدخلت كل الأطراف في صراع آخر مع الإمبراطورية؛ خلّف وراءه الملايين من القتلى، خاصة بعد أن اتسعت رقعة الحرب لتشمل السويد البروتستانتية، وبريطانيا الكاثوليكية وهو ما يعني فرض السياسة كلمتها وتغلبها على الانتماءات الدينية في أوروبا.

كنتيجة لتلك الحروب الدينية لقى 8 ملايين شخص حتفهم، وانخفض عدد سكان ألمانيا بمقدار 25 – 40% ما يُعد الخسارة البشرية الأكبر في تاريخها قبل الحرب العالمية الثانية، ودُمرت 2000 قلعة و1500 مدينة، انتهت الحرب عام 1548 بإعلان صلح "وستفاليا".

4- معاهدة ويستفاليا عام (1648)

انهت معاهدة وستفاليا حرب الثلاثين عاما فقد تضمنت هذه المعاهدة على وفق التبويب الاتي:

اولاً: ما يخص شؤون الدين:

- تم اعطاء اتباع كلفن الحقوق التي أعطيت لاتباع لوثر.
- ترك اتباع تعين الفرد لحاكمه .

ثانياً: ما يخص الكنيسة والاراضي العائدة لها:

1-اعطت المعاهدة الحق للكاثوليك والبروتستانت بالاحتفاظ بما لديهم من املاك الكنيسة منذ عام 1624م.

2- لم يتم تعيين عدد متساو من القضاة الكاثوليك والبروتستانت في محاكم الامبراطورية.

3-الاحترام الكامل لبنود صلح أوغسبرغ لعام 1555.

ثالثاً: ما يخص الشؤون السياسية:

1-استقلال الدول:

أ- اعترفت المعاهدة بانحلال الامبراطورية الرومانية المقدسة فقد أصبح لكل دولة الحق في عقد معاهدات مع الدول المجاورة يعني الاعتراف باستقلال هذه الدول.

ب- اعتراف الدول الموقعة في وستفاليا باستقلال الاراضي المنخفضة وسويسرا.

ت- لفرنسا والسويد الحق للتدخل في الشؤون الالمانية لامتلاكها الاراضي الالمانية.

2- تقسيم الحصص الاقليمية:

أ-حصلت السويد على بوميرانيا الغربية الواقعة على نهر الاودر مع بقاء هذه الاراضي جزءا من جسم الامبراطورية ومع ذلك أصبح لملك السويد ثلاثةأصوات في الدايت.

ب- حصلت فرنسا على الاسقفيات الثلاثة متز وتول وفردان وعلى مقاطعة الالزاس باستثناء مدينة ستراسبورغ الحرة.

ث- حصلت امارة براندبرغ على بوميرانيا الشرقية.

ج-أنقسام ولاية البلاتينات على الراين بين مكسمليان البافاري رئيس العصبة الكاثوليكية في الحرب وابن فردريك أمير البلاتينات وقائد البروتستانت خلال الدور البوهيمي من الحرب[1].

4- نتائج حرب الثلاثين عاما

1-مهدت الطريق للحرية الدينية والتسامح الديني.

2-تعامل الدول ذات السيادة مع بعضها على أساس المساواة من خلال المعاهدات التجارية.

3-ظهور مبدأ التوازن الدولي الذي أصبح أساساً تسير عليه الدول بعد الحرب[2].

4-تقلص الامبراطورية الرومانية المقدسة وتدهورها وفقدانها الكثير من ممتلكاتها وضعف سلطتها على الامراء الالمان.

5-تأجيل الوحدة الالمانية

---

[1]- عبد اللطيف الصباغ، المرجع السابق، ص44

[2]- عمران شاكر الدوري، المرجع السابق، ص105

6-الضعف المالي والعسكري لدى بعض الدول المشاركة مثل اسبانيا، اضطرت اسبانيا لتوقيع معاهدة البرنس عام 1659 مع فرنسا تنازلت عن مقاطعتي روسيلني في الشرق والجزء الجنوبي من بلجيكا بما فيها مدينة ارتو. كما وافق فليب الرابع على تزويج ابنته ماريا تريزا من الملك الفرنسي لويس الرابع عشر.

المحاضرة 06: الكشوف الجغرافية الأوروبية

1- مفهوم الكشوفات الجغرافية

هي رحلات قام بها بحارة ومغامرون أروبيون بداية من القرن 15م الى مناطق عديدة في العالم كأمريكا وافريقيا وآسيا قصد التوسع والبحث عن النفوذ والسيطرة[1].

2- دوافع قيام حركة الكشوفات الجغرافية

انطلقت حركة الكشوفات الجغرافية خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين (15-16م)، حيث تنافست دول أوربا الغربية فيما بينها، سيما البرتغال واسبانيا، أما أهم دوافعها فهي:

- **الدوافع الاقتصادية:**

رغبة دول أوربا في الوصول إلى منتجات الشرق (التوابل، البخور، الأحجار الكريمة، الحرير...)، دون وساطة، وبالتالي التخلص من الرسوم الجمركية التي تفرضها المماليك في الشام ومصر على التجارة الشرقية، أثناء مرورها على هذين البلدين، فقد كانت معظم السلع الشرقية تسلك طريقين رئيسيين إلى أوربا في العصور الوسطى، أولهما: طريق الخليج العربي عبر البصرة وبغداد وصولا إلى ثغور الشام، وثانيهما: طريق البحر الأحمر عبر السويس ومنها إلى الإسكندرية، وهذا ما أدّى إلى ارتفاع أسعار هذه المنتجات التي تدخل في تركيبات عدة صناعات من بينها صناعة الدواء، ووصولها إلى القارة الأوربية بأثمان باهظة، جعلها تنافس أحيانا أسعار الذهب والفضة فقد كان سعر " البُهار" مثلا يماثل أو يفوق أحيانا سعر معدن الفضة، لذلك كان يُطلق على التاجر الغني " كيس بهار" [2].

- **الدوافع الدينية:**

---

[1]- عبد اللطيف الصباغ، المرجع السابق، ص19

[2]- سماحي جواد، البعد الإقتصادي للصدام العثماني الأوروبي في القرن 10 هجري/16 ميلادي، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد04، العدد:02، جامعة تيارات، سبتمبر، 2021، ص491.

يَعتبر الكثير من المؤرخين أن الدوافع الدينية هي المحرّك الأساسي لحركة الكشوفات الجغرافية، حيث أدّى لتعصّب المسيحيين خاصة البرتغاليين الذين كانوا يهدفون إلى تحويل المسلمين في غرب أفريقيا إلى الكاثوليكية، فجعلوا هدفهم: "ضرب قوة المسلمين في مناطق غرب أفريقيا وشواطئ الأطلسي والمتوسط"، أماالأسبان فكانوا يرغبون من جهتهم في نشر المسيحية وفق المذهب الكاثوليكي بين السكان الأصليين والوثنيين فيما وراء البحار، وقد استهدفت هذه الروح الصليبية كذلك تحويل الحبشة إلى المذهب الكاثوليكي، وفصلها عن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بمصر.

كما ظفرت الكشوفات الجغرافية باهتمام كبير من الباباوات، فأصدر بعضهم عدة مراسيم تُخوّل اسبانيا والبرتغال الحق في ملكية كل إقليم جديد، فقد أرسل البابا نيقولا الخامس (1447-1455) عام 1454م مرسوما إلى ملك البرتغال، اشتمل على ما أُطلق عليه تسمية "خطة الهند"، وهي تقوم على إعداد حملة صليبية نهائية تشنها أوربا الكاثوليكية للقضاء على الإسلام، كما كانوا يَعدُون المشتركين في الرحلات الكشفية بالعفو عند الحساب، كما أظهر بعض هؤلاء المغامرين تعصبهم الديني مثل "كريستوف كولومب" ، الذي كان يعد باستخدام الأموال التي سيجنيها في رحلاته البحرية لاسترجاع بيت المقدس[1].

- **الدافع العلمي:**

شهدت علوم الفلك والرياضيات والجغرافيا تطورا كبيرا، وأصبح الاهتمام بها يتزايد، دون إهمال البحث عن الأسواق ومصادر الثراء طبعا؛ ويعود الفضل في دفع حركة الكشوفات الجغرافية إلى الأمير البرتغالي هنري الملاّح، الذي لقيَ الدّعم من القصر الملكي، فقام بتأسيس أكاديمية تهتم بهذا المجال (الجغرافيا، الرياح، الملاحة، بناء السفن)، وهو ما نتج عنه امتلاك البرتغال لسفن ضخمة، كما كان هنري الملاّح يُرسل طلاب العلم إلى الحواضر الإسلامية لنقل المعارف والعلوم عن العلماء العرب والمسلمين، حيث تذكر المراجع أنّ الجغرافي العُمَاني "أحمد بن ماجد"

[1]- محمود شاكر، الكشوف الجغرافية دوافعها وحقسقتها، ط2، المكتبة الإسلامية، بيروت، 1988، ص12

زوّد الرحّالة البرتغالي "فاسكو دا غاما بمجموعة من الخرائط، وأرشده إلى الطريق المؤدي إلى الهند[1].

- **الدافع السياسي:**

أدّى تنافس الدول الأوربية الكبرى على الزعامة والسيادة إلى سعي كل دولة للبحث عن مناطق نفوذ وتوسّع، لاستغلال خيرات هذه المناطق ثم استعمارها، فأسّست كل من اسبانيا والبرتغال إمبراطوريات استعمارية خارج أوروبا، نتج عنها استغلال بشع لمقدّرات وثروات هذه الشعوب،والتي تعرّضت بدورها إلى الاستغلال، وقد فتحت هذه الحركة الكشفية أبواب الاستعمار الحديث، حيث بدأ التنافس الاستعماري بين مختلف القوى الأوربية[2].

3-أهم الكشوفات الجغرافية الأوروبية

- **الكشوفات الجغرافية البرتغالية**

كانت البرتغال السبّاقة في مجال الحركة الاستكشافية، حيث تمكّن الأمير هنري الملاّح (1394-1460م)، من اكتشاف جزء من سواحل إفريقيا يدفعه تحمسه الديني لنشر الكاثوليكية بين السكان، إذ وصل عام 1446م إلى مصب نهر السنغال وإلى الرأس الأخضر عام 1460م، وبعد وفاته اجتاز البرتغاليون خط الاستواء، ووصلوا عام 1482م إلى نهر الكونغو، واحتكروا الملاحة الساحلية (من الشاطئ الإفريقي إلى غينيا)، وتوقفت الكشوفات البرتغالية بسبب نشوب الحرب مع إسبانيا بين عامي 1475 و 1479م، وفي عام 1488م خَطَت الكشوف الجغرافية البرتغالية خطوة هامة في مجال الكشف الجغرافي، حيث اكتشف "بارثيلومودياز" رأس الرجاء الصالح، لكن رحلته توقفت بسبب التمرّد الخطير للبحارة البرتغاليين المرافقين له.

استأنف البرتغاليون جهودهم في هذا المجال، بغية الاهتداء إلى طريق بحري متصل إلى الهند يدور حول إفريقيا من الجهة الجنوبية، حيث تمكن الملاّح "فاسكو دا غاما" سنة 1497م، من اجتياز

---

[1]- عيسى علي إبراهيم، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000، ص94

[2]- سماحي جواد، المرجع السابق، ص490.

رأس الرجاء الصالح وعبور المحيط الهندي ليصل إلى السواحل الغربية للهند، وكان البرتغاليون يتركون حامية عسكرية عند كل منطقة يصلون إليها، وقد كان لهذا الاكتشاف الأثر السيئ المباشر على المماليك في مصر والشام[1].

- **الكشوفات الجغرافية الإسبانية**

قادها بداية بعض المغامرين؛ في حين اتّخذت السلطة الرسمية موقفا معارضا لها، وأمام تدفق الأموال على خزينة البرتغال لم يقف الأسبان موقف المتفرج، فأرسلوا حملة بحرية بقيادة الملاّح الجنوي (نسبة إلى مدينة جنوة الإيطالية) كريستوف كولومبس عام 1492م، الذي كان يعتقد بكروية الأرض وإمكانية الوصول إلى الشرق عن طريق الإبحار غربا، فوصل إلى إحدى جزر البهاما، وأطلق عليها اسم سان سلفادور، ثم اكتشف بعدها كوبا وهايتي، وفي مارس 1493م عاد إلى اسبانيا مُعتقدا أنه وصل فعلا إلى الطرف الشرقي للعالم (الهند)، ثم قام برحلته الثانية لاحتلال هذه الأراضي الجديدة واستعمارها، واستخراج الذهب ونشر المسيحية؛ فاكتشف جامايكا وعاد إلى اسبانيا سنة 1497م، وكانت آخر رحلاته سنة 1502م.

وكان دُعاة المسيحية (الجزويت بصفة خاصة) يُرافقون هذه الرحلات الاستكشافية، وقد أدّى استخدام كولومبس الرقيق (العبيد) في الممتلكات الجديدة، إلى إثارة غضب الملكة"إيزابيلا"، فأُهمل أمره وتوفي سنة 1506م، إلا أنّ رحلاته كان لها أثران اثنان:

أولهما: قد عَمَد الملوك الكاثوليك إلى تثبيت ملكيتهم لهذه الأراضي الجديدة، خاصة عندما نشَط البرتغاليون في استكشافاتهم.، فأدرك الاسبان الفائدة العظيمة للكشوفات.

ثانيهما: فتح الطريق أمام رحلات الأفراد والمغامرين، ثم تشجيع ودعم الحركة الاستكشافية؛ فاستطاع الرحّالة الجدد بين عامي 1499-1508م، الوصول إلى اسبانيولا ثم إلى مصب نهر الأمازون وبرزخ بنما، وتبع ذلك توطُّن الأسبان بأمريكا الوسطى والجنوبية.

---

[1]- عيسى علي إبراهيم، المرجع السابق، ص139

في سنة 1512م، اتبع ملاّح آخر هو "أمريكو فيسبوتشي الطريق الذي سلكه كولومبس، بعد أن ترك الاسبان ودخل في خدمة البرتغال؛ فاكتشف العالم الجديد (أمريكا)، الذي أخذ تسميته من اسم هذا المكتشف تخليدا له؛ ثم توالت الرحلات الاسبانية، حيث تمكن الرحّالة "فرديناند ماجلان من الدوران حول الأرض بين سنتي 1519-1522م، وقد أحدثت هذه الرحلة ثورة حقيقية في مجالات عدة؛ إذ أثبتت كُروية الأرض ودحض أفكار الكنيسة وأثبت خطأ أسس علم الجغرافيا التي كانت تلقنها الجامعات الأوربية لطلابها في العصور الوسطى، بعدها تسابقت الدول الأوربية إلى الحركة الاستكشافية بهدف التوسع الاستعماري[1].

4-نتائج الكشوفات الجغرافية

- **إقتصاديا:**

أثرت الكشوفات الجغرافية في التاريخ الأوربي الحديث تأثرا حاسما، كما كان لها الأثر السلبي على العالم الإسلامي، حيث انتقل مركز الثقل التجاري إلى المحيط الأطلسي بدلا من البحر الأبيض المتوسط (استعاد جزءاً من مكانته الاقتصادية بعدما فتحت قناة السويس بمصر عام 1869م) وتراجعت المكانة الاقتصادية للبلاد العربية (مماليك مصر والشام والعراق) وكذلك الجمهوريات الإيطالية، وفي الجانب الزراعي عرفت أوربا محاصيل جديدة من بينها البطاطس والكاكاو والتبغ، وأصبحت عنصرا هاما في القطاع التجاري، كما تدفقت المعادن النفيسة على أوربا، التي استغلّت مناجم الذهب، وبالتالي أخرجتها الكشوفات من مأزق الأزمة الاقتصادية، وبعد أن زادت رؤوس الأموال، ظهرت الرغبة في استثمارها؛ لذلك توجهت الدول الأوربية إلى استعمار هذه الدول، خاصة الدول التي تتوفر بها المواد الأولية (الخام) الضرورية للإنتاج الصناعي، كما تحوّلت الثروة في أوربا من طبقة ملاّك الأراضي إلى طبقة برجوازية جديدة؛ هي طبقة التجار[2].

- **سياسيا :**

---

[1]- عبد اللطيف الصباغ، المرجع السابق، ص23

[2]- سماحي جواد، المرجع السابق، ص491

أدّت الكشوفات الجغرافية إلى الاستعمار والتوسّع، وبالتالي وقعت مشاحنات بين الدول الاستعمارية، مثال ذلك حرب السنوات السبع بين عدة دول أوروبية (1756-1763م) وقد اشتد الصراع بين أسبانيا والبرتغال، اللتين لجأتا إلى البابا اسكندر السادس لتحكيمه، فعقدت معاهدة توردیسیاس، والتي نصت على تقسيم العالم بخط وهمي يمتد عبر المحيط الأطلسي من الشمال إلى الجنوب.

- **دينيا:**

تم تعويض الكنيسة الكاثوليكية في روما عمّا فقدته من أقاليم بسبب حركة الإصلاح الديني، فأدخلت اسبانيا السكان الأصليين لأمريكا الجنوبية في العقيدة الكاثوليكية، لكن البرتغال لم تُفلح في تنصير المسلمين في الشرق. ومع ذلك عادت الكشوفات بفائدة كبيرة على الكنيسة الكاثوليكية[1].

- **علميا:**

تطوّرت وسائل المواصلات البحرية، وحدث انقلاب في المبادئ الأساسية التي يقوم عليها علم الجغرافيا، وهذا بإثبات كروية الأرض ونظرية دورانها حول الشمس، زد على ذلك التوصل إلى اختراع آلات دقيقة كالبوصلة والإسطرلاب، كما تطورت علوم البحار والملاحة والأرصاد الجوية، وعلم الجغرافيا على وجه الخصوص[2].

- **إجتماعيا وثقافيا:**

انتقلت الشعوب الأوربية من العصر الوسيط إلى العصر الحديث، وتحسّنت أوضاعها الاجتماعية تدريجيا، حيث برزت طبقة اجتماعية جديدة، يمثّلها التّجار الذين ينشطون في الدول المستعمَرة، كما أرسَت حركة الاستعمار نظام التفرقة العنصرية، حيث كان البيضهم الأسياد، وازدهرت تجارة العبيد، وتعرّضت بعض الشعوب في المناطق المكتشفَة (الهنود الحمر مثلا) إلى الإبادة

---

[1]- محمود شاكر، المرجع السابق، ص35

[2]- عيسى علي إبراهيم، المرجع السابق، ص94

الجماعية، مقابل ذلك نشطت حركة الهجرة إلى العالم الجديد، خاصة من طرف الطوائف التي عانت الاضطهاد الديني[1].

[1]– نفسه، ص307

المحاضرة 07: الحركة الاستعمارية الأوروبية ما بين القرنين 16-17م

إرتبطت ظاهرة الاستعمار بالنهضة الأوروبية والكشوف الجغرافية وتعزز السلطات المركزية في كل من البرتغال، إسبانيا، بريطانيا، فرنسا وبعض الممالك الإيطالية، حيث شهدت أوروبا في نهاية القرون الوسطى تطورات تكنولوجية سريعة، خاصة في مجال الملاحة، وحيث تمكنت السلطات المركزية الأكثر استقرارًا من تمويل مشاريع طموحة تشمل إرسال بعثات من الملّاحين والجنود والمستوطنين إلى مواقع بعيدة عن بلادهم الأصلية[1].

يعتبر معظم المؤرخين تأسيس المستعمرة البرتغالية في سبتة عام 1415م نقطة البداية لظاهرة الاستعمار، وبغض النظر عن الحملات الصليبية، كان احتلال سبتة من قبل الجيوش البرتغالية وتأسيس المستعمرة فيها أول عملية لتوسيع سيطرة دولة أوروبية خارج القارة الأوروبية، خلال القرن الخامس عشر، أيام الأمير إنريكيه الملاح، الملك أفونسو الخامس والملك مانويل الأول، شنت البرتغال حملات استكشافية بحرية، وتمكن ملاحوها عام 1434م من عبور رأس بوجادور) اليوم في الصحراء الغربية (الذي اعتبره الأوروبيون نقطة غير قابلة للاجتياز، وأقامت البرتغال في تلك الفترة محطات تجارية، بما في ذلك محطات التجارة بالعبيد، على الشواطئ الأفريقية الغربية بدعم الفاتيكان الذي منحها الأولوية من بين الدول الكاثوليكية في السيطرة على المواقع المعثورة عليها جنوبي رأس بوجادور، عام 1498وصل البرتغاليون إلى رأس الرجاء الصالح وفي عام 1497وصلوا إلى شرقي أفريقيا[2].

وضع البرتغاليون قدمهم الأولى خارج أوروبا بغزو سبتة في 1415م، وخلال القرن ال15 اكتشف البحارة البرتغاليون جزر المحيط الأطلسي ماديرا وجزر الأزور والرأس الأخضر والتي كانت مأهولة

---

[1]– عيسى علي إبراهيم، المرجع السابق، ص94

[2]– عمر عبد الناصر، محاضرات في تمقياس تاريخ الإستعمار وحركلت التحرر في إفريقيا وأسيا في القرنين التاسع عشر والعشرين، قسم التاريخ، جامعة قالمة، ص19

بالسكان، وواصلوا الاستكشاف تدريجيا على طول الساحل الأفريقي الغربي حتى أثبت بارتولوميو دياز سنة 1488م أنه من الممكن الإبحار حول إفريقيا عبر الدوران خلال رأس الرجاء الصالح، مما مهد الطريق لوصول فاسكو دا جاما إلى الهند سنة 1498م[1].

وأدت النجاحات البرتغالية إلى تمويل إسبانيا لمهمة كريستوفر كولومبوس سنة 1492م لاستكشاف طريق بديل إلى آسيا عن طريق الإبحار غربًا، وقد وصل كولومبوس في النهاية إلى جزر الأنتيل الكاريبية، معتقدًا أنه وصل إلى ساحل الهند، وأن الأشخاص الذين قابلهم هناك هم هنود ذوي بشرة حمراء، هذا هو سبب تسمية الأمريكيين الأصليين بالهنود الحمر، وفي الواقع فإن كولومبوس قد وصل إلى قارة جديدة على الأوروبيين وهي القارة الأمريكية، وبعد رحلات كولومبوس الأولى، سُويت مطالبات التنافس بين إسبانيا والبرتغال حول الأراضي غير المكتشفة سنة 1494م بموجب معاهدة توردسيلاس، التي قسمت العالم خارج أوروبا في الاحتكار الثنائي في مجالي التجارة والاستكشاف بين مملكتي قشتالة والبرتغال على خط الطول بين الشمال والجنوب 370 فرسخ غرب، وفقًا لهذه الاتفاقية الدولية، كان الجزء الأكبر من الأمريكتين والمحيط الهادئ مفتوحًا للاستكشاف والاستعمار الإسباني، بينما تم تخصيص إفريقيا والمحيط الهندي ومعظم آسيا للبرتغال[2].

وقد خضعت هذه الحدود التي نصت عليها معاهدة توردسيلاس للاختبار مرة ثانية عندما وصل المستكشف البرتغالي فرديناند ماجلان، الذي أبحر تحت العلم الإسباني إلى غوام والفلبين في 1521م، وأصبح أول أوروبي يعبر المحيط الهادئ، والتقت الإمبراطوريتان العالميتان، اللتان انطلقتا من اتجاهات متعارضة أخيرًا على الجانب الآخر من العالم، فحل هذا النزاع المستحدث بين القوتين مع معاهدة سرقسطة في 1529 م والتي حددت مناطق النفوذ الإسباني والبرتغالي في آسيا، وإنشاء خط الزوال أو خط الترسيم على الجانب الآخر من العالم.

---

[1]– عبد اللطيف الصباغ، المرجع السابق، ص24–25

[2]– عمر عبد الناصر، المرجع السابق، ص20

واستمر البرتغاليون خلال القرن 16 في بسط نفوذهم شرقًا وغربًا في المحيطات، وقاموا في آسيا بأول اتصال مباشر بين الأوروبيين والشعوب التي تسكن في موزمبيق ومدغشقر وسري لانكا وماليزيا وإندونيسيا وتيمورالشرقية 1512م، والصين وأخيرًا اليابان، وبالمقابل احتل البرتغاليون أراضي ضخمة عرفت فيما بعد بالبرازيل، وأقام الغزاة الإسبان نيابات ملكية واسعة في إسبانياالجديدة وبيرو، وفيما بعد ريو دي لا بلاتا الأرجنتين (وغرناطة الجديدة) كولومبيا، وفي آسيا، واجه البرتغاليون المجتمعات القديمة المأهولة بالسكان، وأنشأوا إمبراطورية بحرية تألفت من مراكز تجارية ساحلية مسلحة على طول الطرق التجارية الخاصة بهم (مثل غوا وملقا وماكاو)، لذلك كان تأثيرهم الثقافي ضئيل نسبيًا على هذه المجتمعات، أما في نصف الكرة الغربي فقد قام المستعمرون الأوروبيون بنقل أعداد كبيرة من المستوطنين والجنود والإداريين العازمين على امتلاك الأراضي واستغلال (كما هي معايير العالم القديم) الشعوب البدائية التي كانت تبدو أنها، وكانت النتيجة أن استعمار العالم الجديد كان كارثيًا: كانت الشعوب الأم لا تضاهي تكنولوجيا الأوروبيين وقسوتهم وأمراضهم التي قضت على السكان الأصليين.

وقد تسببت المعاملة الإسبانية مع السكان الأصليين جدلًا حادًا، وأثير نقاش حول ما إذا كان الهنود يمتلكون أرواحًا أم لا، وإن كان كذلك فهل لهم حق في التمتع بالحقوق الأساسية للبشرية، ودافع بارتولومي دي لاس كاساس عن تدمير جزر الهند على السكان الأصليين، وعارضه سيبولفيدا، الذي ادعى أن الهنود الأمريكيين هم رقيق بالفطرة[1].

وكانت للكنيسة الرومانية الكاثوليكية دورًا كبيرًا في أنشطة إسبانيا والبرتغال الخارجية، حيث الدومينيكانية واليسوعيون والفرنسيسكان، وبالذات فرنسيس كسفاريوس في آسيا وخونيبيرو سيرا في أمريكا الشمالية قد قاموا بأنشطة هامة في هذا المسعى، ولا تزال العديد من المباني التي شيدها اليسوعيون قائمة، مثل اطلال كنيسة سانت بول في ماكاو وسانتيسيما ترينيداد دي بارانا في باراغواي، وتتُعد الأولى مثال على مستوطنات اليسوعيون، ولا تزال مباني الدومينيكان

[1]– عيسى علي إبراهيم، المرجع السابق، ص307

الفرنسيسكان لبعثات كاليفورنيا ونيو مكسيكو قائمة، مثل مبنى سانتا باربرا في سانتا باربارا (كاليفورنيا) وسان فرانسيسكو وكنيسة أسيس في رانتشوس دي تاوس، نيو مكسيكو[1].

وكما يحدث بشكل مميز في أي استعمار، سواءًا كان أوروبيًا أو غيره، سابق أو لاحق، فقد استفادت إسبانيا والبرتغال استفادة رائعة من المستعمرات المكتشفة حديثًا في الخارج: استفاد الإسبانيون من الذهب والفضة المُستخرجة من المناجم في بوتوسي وزاكاتيكاس في إسبانيا الجديدة واستفادت البرتغال من الأرباح الباهظة التي حصلت عليها باعتبارها وسيطًا في عملية التجارة، خاصة خلال فترة تجارة نانبان اليابانية ، سمحت المعادن الثمينة التي تدفقت إلى خزائن المملكة الإسبانية، لها بتمويل الحروب الدينية المُكلِفة في أوروبا، ولكنها في الآخر تسببت بإضعافها اقتصاديا: فالمعروض من تلك المعادن لن يكون غير محدود، وكذلك فالتدفق الكبير تسبب في التضخم والديون، وبالتالي أثر على باقي أوروبا[2].

---

[1]– كركب عبد الحقمحاضرات في تاريخ إفريقيا وآسيا في القرن 20، قسم العلوم الإنسانية، جامعة تيارت، ص15

[2]– سماحي جواد، المرجع السابق، ص491

المحاضرة 08: عصر التنوير الأوروبي

1- مفهوم عصر التنوير

بدأ في أوروبا خلال القرن الثامن عشر، وفيه سادت المعرفة في حياة الإنسان، وأصبح العقل هو المعيار، وترك الأوروبيون المعتقدات الدينية والأيديولوجية الثقافية والسياسية والاجتماعية القديمة وراء ظهورهم، بينما ساهمت هذه الحركة الفكرية والثقافية في تطور الإنسان وسمحت للفرد بتطوير قدرة التفكير النقدي، والتي تعني القدرة على استخدام العقل، دون توجيه من شخص آخر حيث شرع الجميع يفكرون بأنفسهم، ويستخدمون عقولهم في تحليل وتفسير بيئتهم دون توجيه أو وصاية من الآخرين، مما سمح بتحقيق تقدم متكامل للفرد والمجتمع بشكل عام[1].

2-الأسباب التي أدت إلى ظهور حركة التنوير

تتمثل هذه الأسباب فيما يلي:

- فقدان الكنيسة ورجال الدين لمصداقيتها بعد المآسي التي تسببت فيها للشعب الأوروبي.
- ضعف المعتقدات الثقافية والأعراف المتجذرة في المجتمع مع تنامي روح المطالعة والاستكشاف التي تلت عصر النهضة.
- صعود الطبقة الاجتماعية البرجوازية ودورها في التشجيع على العلم ونشره في المجتمع.
- ظهور النزعة الإنسانية التي تعتبر الإنسان مركز كل ما هو موجود.
- تنامي الدعوات للاعتماد على العقل الإنساني فتح المجال أمامه[2].

3- مظاهر عصر التنوير

- إستخدام المنهج العلمي في تحليل كل الظواهر الحياتية، وقد تضمنت خطوات المنهج العلمي التحليل والملاحظة والتجريب.

---

[1]- بيار إف بوربير، أوروبا التنوير، تر: محمد علي مقلد، ط1، دار الكتاب الجديد، 2004، ص15

[2]- هشام صالح، مدخل إلى التنوير الأوروبي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2005، ص69

- تطور كبير في شتى العلوم الطبيعية؛ كالرياضيات، والكيمياء، والفيزياء، والفلك، والتشريح.
- تطور العلوم الإنسانية عامة والفلسفة خاصة، وأصبحت تلك العلوم تخضع للمنهج العلمي والتفكير المنطقي، بدلًا مما كانت تتناول بالآراء الشخصية والجهل والخرافة.
- انتقاد الدولة والكنيسة بصورة كبيرة وتراجع المسيحية واختفاء محاكم التفتيش المقدسة.
- تقدم الأعمال الفنية من كتابة ومسرح وأدب، ونشطت حركة الترجمة.
- ظهرت الصحف والمجلات في مجالات العلوم والفلسفة.
- ذيوع الفكر الإنتاجي، بمعنى الإهتمام بكل ما يستطيع العقل البشري تحويله إلى منتجات مادية، وهو ما نتج عنه حدوث الثورة الصناعية، وإزدهار اوروبا إقتصاديًا.
- نشطت الحركة العلمية وبزغ عدد من العلماء الكبار والفلاسفة الذين أضافوا للبشرية كنوزًا علمية جديدة مازال العالم يستفيد منها حتى اليوم، ومنهم إسحاق نيوتن الذي وضع قوانين الجذب العام، وقوانين الحركة، وأضاف الكثير من الأبحاث في علم الرياضيات.
- فصل السلطات في الدولة وإعادة تنشيط الاقتصاد وظهور الليبرالية، كما تم الاعتراف بالحقوق الطبيعية للمواطن في المسائل الدينية والأخلاقية والسياسية والتعبير عن آرائه بحرية تامة.

4- رواد عصر التنوير

يمكن تصنيف رواد عصر التنوير في أكثر من فئة حسب إسهاماتهم، في هذا القسم نستعرض بإيجاز أهم رواد عصر التنوير:

- **مونتسكيو:** هو أول مفكر في عصر التنوير كتب فلسفة المجتمع والتاريخ، استخدم مونتسكيو الطريقة العلمية التي طورها نيوتن وحاول تطبيقها في دراسة المجتمعات البشرية، كما شرع مونتسكيو في إيجاد القوانين العامة والخاصة، والمبادئ التي من شأنها أن تشرح حالات معينة (الهياكل الاجتماعية والأشكال السياسية) وتاريخ الأمم (التغيير) ومن أبرز أعماله "الرسائل الفارسية" و "روح القوانين".

- **جان جاك روسو:** أحد أبرز فلاسفة عصر التنوير وأكثرهم تأثيراً على الأفكار السياسية في القرنين العشرين والحادي والعشرين، حاول روسو إيجاد حل لمشكلة التناقض بين النظام الاجتماعي وطبيعة الإنسان، كان السؤال الذي حاول روسو حله هو إيجاد نظام اجتماعي تكون قوانينه منسجمة قدر الإمكان مع قوانين الطبيعة، بينما أهم أعماله "العقد الاجتماعي" و"محاورات في العلوم والفنون"، و"في التربية: إميل نموذجاً".
- **فولتير:** أحد أهم رواد عصر التنوير الذين برزوا بشكل هائل في مجال الأدب والفلسفة. بينما دافع فولتير عن التعايش السلمي بين الناس من مختلف الأديان، ومن أهم أعماله كانديد أو التفاؤل الذي هاجم فيه بذكاء الكنيسة الكاثوليكية.
- **ديفيد هيوم:** طور هيوم جانباً من جوانب الفلسفة العقلانية والتفكير المعرفي، ويعد خليفة لجون لوك وجورج بيركلي، أما أحد أهم مساهماته الفلسفية هي اعتقاده بأن أي معرفة بالعالم الخارجي مستحيلة، وهذا ما جعله أهم شخصيات عصر التنوير لأنه أيقظ إيمانويل كانط من نومه العقائدي، بينما كان لهيوم تأثير كبير على حركات مثل الوضعية المنطقية والنفعية والفلسفة التحليلية.
- **إيمانويل كانط:** يعتبر كانط هو أول من صاغ نظرية المعرفة، ويحتل مكانة مميزة وسط فلاسفة عصر التنوير، أما أهم أعماله "نقد العقل الخالص" و"نقد العقل العملي" ونقد الحكم" و"ميتافيزيقا الأخلاق".
- **آدم سميث:** هو خبير اقتصادي وفيلسوف أخلاقي، بينما كان سميث مراقباً يقظاً للعملية الأولية للتصنيع والتقسيم الاجتماعي للعمل الذي اكتسب قوة في بداية القرن الثامن عشر، ما حلله وقيمه بشكل إيجابي كان النمو الهائل في الإنتاجية والكفاءة المستمدة من التقسيم المتزايد للعمل، وفقاً لسميث، سيكون تقسيم العمل في النهاية المصدر الحقيقي للثروة والرفاهية، بينما طور آدم سميث أيضاً بعض الأفكار الاجتماعية، مثل تأثير الموقف الاجتماعي على مستقبل كل فرد، وأهمية

التعاطف في العلاقات الاجتماعية، والطبيعة الاجتماعية للبشر وميلهم نحو التبادل. أكثر أعماله شعبية هي ثروة الأمم[1].

[1]– هشام صالح، المرجع السابق، ص167–257

المحاضرة 09: الثورة الصناعية في أوروبا

1- مفهوم الثورة الصناعية

يمكن تعريف الثورة الصناعية على أنها عملية التغيير السريع الذي شهدته أوروبا منذ أواخر القرن الثامن عشر، حيث شهدت أوروبا تطور متسارع في مختلف مجالات العلوم من خلال تزايد الأبحاث العلمية واختراع آلات تزيد الإنتاج وتقتصر الوقت، وكان ذلك السبب المباشر في انتقال المجتمع المجتمع من الزراعة والحرف اليدوية إلى الصناعة المعتمدة على الآلات، وما تبع ذلك من تطور كبير للنشاط التجاري[1].

2- العوامل التي أدت إلى قيام الثورة الصناعية

- **اتساع نطاق التبادل التجاري داخل و خارج أوربا:** اتسعت تجارة أروربا لتمتد إلى العالم الجديد والعالم القديم، فاكتشاف العالم الحديث سنة 1492م واكتشاف الطريق البحري الشرقي عبر رأس الرجاء الصالح عام 1498 أدى إلى اتساع السوق الخارجية وذلك بتموين عدة أقطار بمنتجاتها، وهكذا لم يكن هناك تخوف من احتمال عدم وجود أسواق لتصريف البضائع، هذا دفعا لزيادة كمية الإنتاج بشكل هائل.
- **رأس المال:** لقد كان لاتساع التجارة الأوربية وامتدادها لأقطار العالم أثر إيجابي لأصحاب المصانع، شركات النقل، التجار الوسطاء والمؤسسات المالية، وذلك لأن أرباحهم كانت في تزايد مستمر مما مكنهم من تكوين أموال طائلة تتجمع لتكوين رؤوس أموال معتبرة كفيلة بسد حاجيات ومتطلبات الصناعة[2].
- **سياسة الحرية الاقتصادية:** في القرن السابع عشر والثامن عشر بدأت سياسة الدولة بالتغير تدريجيا، وبدأت تحد من سلطة النقابات الطائفية المتمتعة بالنفوذ الكبير وتعرقل احتكارها وتدخلها المباشر في

---

[1]- كارلتون هيلزر، الثورة الصناعية، ط1، تر: أحمد عبد الباقي، مطبعة العاني، بغداد، 1950م، ص12

[2]- أحمد حسم البرعي، الثورة الصناعية وأثارها الاجتماعية والقانوني، دار الفكر العربي، القاهرة، ص16

الإنتاج و الصناعة، وهكذا،أصبح الفرد يتمتع بالحرية الاقتصادية المتمثلة في حرية العمل ومزاولة التجارة ،هذا كان نتيجة امتداد مبدأ الفردية الذي دافعت عنه بعض الدول، ومن هنا، أصبحت الحكومات تسير على سياسة الحرية وتسمح للأفراد لدخول مجال الانتاج والتجارة، وخفضت من معدلات الضرائب المفروضة على رؤوس الأموال الموظفة في مجال الصناعة، كما أصبحت تحمي حقوق الإختراع وتدعم أركان سياسة الحرية الاقتصادية[1].

- **التطور العلمي والاختراعات:** حيث اخترع العالم الاسكتلندي جيمس واط الآلة البخارية عام 1765، وطورها إلى آلة ميكانيكية في عام 1781، وصنع جيمس واط في معمله 200 آلة، استخدمت في محيط مناجم الفحم والحديد، ثم انتشرت في المرافئ البحرية والنهرية، ما أدى إلى تطور وسائل النقل وظهور البواخر والقطارات التي اعتمدت على الفحم والبخار، كما أن استخدم الآلات الميكانيكية ساهم في تطور الإنتاج الصناعي وأدى لإحلال الآلات مكان القوة البشرية ليقتصر دور الإنسان على وضع التصاميم وإدارة الآلة للوصول إلى الإنتاج المطلوب من حيث الشكل والنوع والحجم، ونتيجة ذلك برزت الحاجة لرؤوس أموال تغطي قيمة المعامل والمصانع المنشأة والمراد إنشائها، فاستلم الأثرياء إدارة الصناعة في أوروبا، وهذا مأ أدى لظهور الرأسمالية[2].

3- نشأة الثورة الصناعية وتطورها

اتفق أغلبية المفكرين على أن الثورة الصناعية تعود لأواخر القرن الثامن عشر، إلا أن بعض المفكرين مثل الكيميائي السويسري فيرنر الذي رأى في كتابه الرأسمالية الحديثة المنشور في عام 1902، أن الثورة الصناعية ثورة قديمة تعود إلى القرن الرابع عشر مع ظهور البرجوازية في فلورنسا، يمكن القول أن جذور الثورة الصناعية بدأت في القرن السابع عشر، حيث ظهرت الشركات التجارية البحرية الكبيرة مثل شركة الهند الشرقية الإنكليزية 1600م، وشركة الهند الشرقية الهولندية 1602م، وقامت هذه الشركات بتعبئة الرجال والمال والموارد المادية من أجل تغذية الكشوف الجغرافية والتقدم

---

[1]- جون برون، تاريخ أوروبا الحديث، ط1، تر:علي المزروقي، الأهلية للنشروالتوزيع، 2006م،الأردن، ص474

[2]- أحمد حسم البرعي، المرجع السابق، ص26

التكنولوجي كاكتشاف البوصلة، لتكون هذه الشركات بذور لظهور الشركات المتعددة الجنسيات فيما بعد، وفي القرن السابع عشر، تبنت الدول الأوروبية مبدأ الحريات الفردية، بما فيها حرية التجارة والصناعة، مما أدى للمنافسة الحرة، حيث قامت فرنسا في مارس من عام 1791م بإصدار قانون ألغت بموجبه العديد من الشركات التابعة للدولة (شركات القطاع العام) انسجاماً مع مبدأ حرية التجارة والصناعة، ومع مطلع القرن الثامن عشر اتخذت بريطانية تدابير مماثلة، وهو ما أكان له أثره في ظهور الثورة الصناعية .وفي القرن التاسع عشر أصبح السوق حراً، وقال العالم الاقتصادي البريطاني كارل بولاني: "إن السوق يعمل بطريقة ذاتية التنظيم، من دون تدخل الدولة ."رغم أن هذه التطورات حصلت في فرنسا، إلى أن الثورة الصناعية ظهرت في بريطانيا في البداية وذلك بسبب الاستقرار السياسي التي كانت تعيشه بريطانيا، والوضع الاقتصادي الجيد الذي تتميز به، وقد بدأت هذه الثورة باختراع الآلة البخارية، ومن ثم انتشرت الثورة الصناعية في كل أوروبا ومن ثم إلى باقي دول العالم، وتميزت الثورة الصناعية بظهور مصانع الغزل والنسيج، الأفران عالية الحرارة لصهر الحديد، فأصبحت الآلات بحاجة إلى مصادر جديدة للطاقة فاستخدم الفحم الحجري، ومن ثم البخار، في القرن التاسع عشر، وبعد ذلك اعتمد على الكهرباء في القرن العشرين في تشغيل المحركات والآلات وفي تسيير البواخر والقاطرات[1].

4- نتائج الثورة الصناعية

- **النتائج الاقتصادية:** أدت الثورة الصناعية إلى قيام نظام اقتصادي رأسمالي يرتكز على حرية العمل والمبادلات، فبرز دور المؤسسات الإنتاجية الكبرى في تنمية الاقتصاد وتحسنت الأوضاع المعيشية للناس وازدهرت حركة العمران كما ازداد الإنتاج الصناعي بشكل كبير بفضل تطور المعدات والآلات واعتماد التقنيات الجديدة، وتطور وسائل النقل واتساع شبكة القطارات فانخفضت كلفة الإنتاج وظهرت صناعات جديدة واتسع الاستثمار في الزراعة فقد أدى الاستعمال المكثف للآلات والأسمدة إلى تحول الإنتاج الزراعي من إنتاج معيشي مخصص أساسا لاستهلاك المزارع وعائلته إلى إنتاج تجاري موجه

[1]- كارلتون هيلزر، المرجع السابق، ص14

إلى السوق، لذلك تحولت الزراعة إلى عنصر فعال في تطور القطاع الصناعي بعد أن وفرت له حاجاته من المواد الأولية مما زاد من مستوى الإنتاج واستوجب تأمين أسواق خارجية لترويج فوائضه، كما تطلبت التجارية الدولية تطوير المعاملات المالية فأنشأت المصارف المتخصصة واعتمد الذهب كقاعدة في المعاملات[1].

- **النتائج الاجتماعية:** أسهمت الثورة الصناعية في القضاء على المجتمع القديم وأقامت مكانه مجتمعا جديدا تميز ببروز طبقتين : طبقة أرباب العمل المنتسبين إلى البرجوازية والتي تكونت من أصحاب المؤسسات الصناعية والتجارية والمصرفية، وقد سيطرت هذه الطبقة على الحياة الاقتصادية بامتلاكها لوسائل الإنتاج، وطبقة العمال التي تكونت من سكان المدن والنازحين من الأرياف بحثا عن فرص العمل التي وفرتها المصانع، فظهر التفاوت الاجتماعي الذي اقتضى تدخل الدول للحد من سلبياته، حيث صدرت تشريعات عمالية تتعلق بعمل النساء والأطفال وتحدد ساعات العمل والحد الأدنى للأجر وتتناول الشئون الصحية للعمل، وظهر في بعض الدول كألمانيا وبريطانيا ضمان المرض وضمان الحوادث والشيخوخة، كذلك قضت الثورة الصناعية على الروابط العائلية التي كانت مصدر تكافل اجتماعي واقتصادي، فمع هذه الثورة أنشأت المصانع في مناطق دون أخرى فاستقطبت إليها العمال، وكان الآباء أول من اختطفتهم الصناعة ثم بدأت المصانع بتشغيل النساء والأطفال فقضت بذلك على تلاحم الأسرة وتسبب في تفاقم ظاهرة النزوح من الأرياف سعيا وراء فرص العمل التي وفرتها الصناعات الجديدة، فتضخمت المدن بشكل هائل وتفوق العرض على الطلب فانخفضت الأسعار وكثر عدد العاطلين عن العمل وتزايدت حدة البؤس[2].
- **النتائج السياسة والثقافية:** كان للثورة الصناعية عدة نتائج على المستويين الثقافي والسياسي. أما بالنسبة للمستوى السياسي فقد أدت الثورة الصناعية إلى:

---

[1]– أحمد حسم البرعي، المرجع السابق، ص 126

[2]– جون برون، المرجع السابق، ص473

تطبيق المبادئ الدستورية التي منحت للعمال والنساء حق الانتخاب برز أحزاب سياسية تدافع عن مصالح العمال وتشارك في الحياة السياسية، واحتدام التنافس بين الدول الصناعية للسيطرة على مصادر المواد الخام والأسواق الخارجية مما أنتج تفاقم الاستعمار وانقسام العالم إلى جزأين جزء مهيمن تمثله البلدان الصناعية وجزء مستغل تمثله بلدان أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية.

أما بالنسبة إلى الجانب الثقافي فقد رافقت الثورة الصناعية انتعاشة ثقافية كبيرة كان من ثمارها الإيمان بقدرة العقل البشري وبأهمية العلم والتقدم، وقد نشطت الحياة الثقافية عبر مراكزها التي انتشرت في كل مكان من أوروبا، وأثرت المدينة على حياة الفرد الذي أخذ ينهل مما توفر له من أسباب التعلم والثقافة، فأسهم ذلك في رفع مستوى الوعي[1].

[1]– جون برون، المرجع السابق، ص476

محاضرة 10: الثورة المجيدة سنة 1688م

تُعدّ الثورة المجيدة سنة 1688 من أبرز التحولات في التاريخ السياسي الأوروبي الحديث، إذ شكّلت نقطة انتقال حاسمة من نظام الملكية المطلقة إلى نظام ملكي دستوري يقوم على توازن السلطة بين الملك والبرلمان، ولم تكن هذه الثورة حدثًا إنجليزيًا محضًا، بل جاءت نتيجة تفاعلات معقدة داخل الممالك الثلاث: إنجلترا وإسكتلندا وإيرلندا، وفي إطار سياق أوروبي أوسع اتسم بالصراع بين الكاثوليكية والبروتستانتية وبصعود الدولة الحديثة.

أولا: أسباب الثورة

1- الخلفية السياسية والدينية قبل الثورة

لفهم الثورة المجيدة، ينبغي العودة إلى جذور الأزمة السياسية في إنجلترا خلال القرن السابع عشر، والتي ارتبطت أساسًا بطبيعة العلاقة بين الملك والبرلمان، فقد سعى تشارلز الأول إلى تكريس الحكم المطلق وفرض الضرائب دون موافقة البرلمان، مما أدى إلى تصاعد التوتر وانفجار الحرب الأهلية سنة 1642 التي وانتهت بإعدامه سنة 1649، وهو حدث غير مسبوق في التاريخ الأوروبي الحديث، أعقبه قيام نظام جمهوري بقيادة أوليفر كروموال[1].

غير أن هذا النظام لم يستمر طويلًا، إذ أُعيدت الملكية سنة 1660 في عهد تشارلز الثاني، لكن التوترات بين السلطة الملكية والبرلمان ظلت قائمة، خاصة في ظل استمرار الخلافات الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت[2]، وقد تجلّى ذلك بوضوح خلال أزمة الاستبعاد (1679–1681)، التي انقسم

---

[1]– برون جيفري، المرجع السابق، ص271

[2] –Tim Harris, *Revolution: The Great Crisis of the British Monarchy, 1685–1720*, London: Penguin Books, 2006, p. 106–108.

خلالها المشهد السياسي إلى معسكرين: الويغ الذين سعوا إلى استبعاد جيمس بسبب كاثوليكيته، والتوري الذين دافعوا عن مبدأ الوراثة الشرعية.

2- وصول جيمس الثاني إلى الحكم وتنامي الأزمة

تولى جيمس الثاني الحكم سنة 1685 وسط قبول نسبي، رغم كونه كاثوليكيًا، وذلك لأن النخبة السياسية كانت تخشى من عواقب إقصائه، خاصة من احتمال اندلاع حرب أهلية جديدة[1]، غير أن هذا القبول كان مؤقتًا، إذ سرعان ما بدأت سياسات الملك تثير مخاوف واسعة، خاصة محاولته تعزيز نفوذ الكاثوليك في مؤسسات الدولة.

وقد سعى جيمس إلى إلغاء مرسوم الاختبار، الذي كان يمنع الكاثوليك من تولي المناصب العامة، وعندما رفض البرلمان ذلك، قام بتعليق عمله وحكم بالمراسيم، وهو ما اعتُبر تجاوزًا خطيرًا للأعراف السياسية، كما أثارت محاولاته إنشاء تحالف سياسي جديد يضم الكاثوليك والمنشقين البروتستانت قلق النخب التقليدية التي رأت في ذلك تهديدًا للتوازن القائم.

وتفاقمت الأزمة مع إنشاء لجنة كنسية سنة 1686 للسيطرة على كنيسة إنجلترا، وفرض شخصيات كاثوليكية في مناصب حساسة، وهو ما زاد من حدة المعارضة داخل الأوساط الأنجليكانية[2].

3- العوامل المباشرة لاندلاع الثورة

بلغت الأزمة ذروتها سنة 1688 نتيجة مجموعة من العوامل المتداخلة، كان أبرزها ولادة ابن للملك جيمس فرانسيس إدوارد، وهو ما أثار مخاوف من قيام سلالة كاثوليكية دائمة، بعد أن كان يُعتقد أن الحكم سينتقل إلى ماري البروتستانتية.

كما شكّلت محاكمة الأساقفة السبعة نقطة تحول حاسمة، إذ رفض هؤلاء تنفيذ أوامر الملك المتعلقة بإعلان التسامح الديني، وعندما تمت تبرئتهم، اندلعت موجة واسعة من الاحتجاجات التي كشفت عن تراجع الدعم الشعبي للملك.

---

[1] -Harris, Ibid, P144

[2]- عبد الفتاح حسن أبو علية، المرجع السابق، ص151

ولا يمكن إغفال العامل الخارجي، حيث لم يكن الإنجليز ينظرون إلى ما حدث في فرنسا باعتباره مجرد شأن ديني داخلي، بل اعتبروه نموذجًا سياسيًا مقلقًا يمكن أن يتكرر في إنجلترا. فبعد أن ألغى لويس الرابع عشر سنة 1685 مرسوم نانت، تعرّض البروتستانت الفرنسيون للاضطهاد وأُجبروا على اعتناق الكاثوليكية أو الهجرة، مما دفع عددًا كبيرًا منهم إلى اللجوء إلى إنجلترا، هذا الوضع أثار مخاوف الإنجليز لسببين أساسيين: أولًا لأن المجتمع الإنجليزي كان في معظمه بروتستانتيًا ويرى في الكاثوليكية رمزًا للسلطة المطلقة والاضطهاد الديني، وبالتالي خشي من انتقال النموذج الفرنسي القائم على فرض المذهب بالقوة، وثانيًا لأن الملك جيمس الثاني، وهو كاثوليكي، بدأ يتبنى سياسات اعتُبرت منحازة للكاثوليك ومقلِّصة لدور البرلمان، ما عزز الخوف من تكرار التجربة الفرنسية في إنجلترا، لذلك ارتبطت الأحداث في فرنسا بالوضع الداخلي الإنجليزي، وأصبحت مصدر قلق سياسي ساهم في تسريع الأزمة التي مهدت للثورة المجيدة[1].

ثانيا: أحداث الثورة 1688–1689

في ظل هذه الظروف، وجّه عدد من النخب الإنجليزية دعوة إلى الأمير الهولندي ويليام الثالث للتدخل، وقد استجاب الأخير وقاد حملة عسكرية نزلت في إنجلترا في 5 نوفمبر 1688، ومع تقدمه نحو لندن، بدأت قوات جيمس في التفكك نتيجة الفرار، مما أدى إلى انهيار سلطته بسرعة.

وفي ديسمبر من نفس السنة، اضطر جيمس إلى الفرار إلى فرنسا، وهو ما اعتُبر بمثابة تنازل عن العرش. وفي أبريل 1689، انعقد البرلمان وأقر تنصيب ويليام وماري ملكين مشتركين، في إطار تسوية سياسية جديدة أنهت فعليًا حكم أسرة ستيوارت بصيغتها السابقة[2].

---

[1] – Harris, Ibid, P153–155

[2] – عبد الفتاح حسن أبو علية، المرجع السابق، ص157

1-إعلان الحقوق وتأسيس النظام الدستوري

شكّل إصدار إعلان الحقوق الإنجليزي محطة أساسية في تاريخ النظام السياسي الإنجليزي، إذ وضع أسس الملكية الدستورية وحدد العلاقة بين الملك والبرلمان، وقد نص هذا الإعلان على أن الملك لا يملك حق تعليق القوانين أو فرض الضرائب دون موافقة البرلمان، كما أكد على حرية النقاش داخل البرلمان[1].

وبذلك، تم القضاء عمليًا على فكرة الحق الإلهي للملوك، وأصبح البرلمان هو المصدر الأساسي للسلطة السياسية، وهو تحول عميق في الفكر السياسي الأوروبي[2].

2-امتدادات الثورة في إسكتلندا وإيرلندا

لم تقتصر آثار الثورة على إنجلترا، بل امتدت إلى إسكتلندا وإيرلندا، حيث شهدت كل منهما تطورات خاصة، ففي إسكتلندا، تم التوصل إلى تسوية مشابهة أكدت على إقصاء جيمس وتثبيت النظام الجديد، رغم استمرار التوترات الدينية والسياسية[3].

أما في إيرلندا، فقد اتخذت الأحداث طابعًا أكثر عنفًا، حيث اندلعت مقاومة لصالح جيمس، مدعومة من الكاثوليك، وهو ما أدى إلى صراعات عسكرية استمرت لعدة سنوات.

ثالثا: نتائج الثورة وأهميتها التاريخية

أدت الثورة المجيدة إلى تحولات عميقة في النظام السياسي الإنجليزي، حيث تم ترسيخ مبدأ سيادة البرلمان ووضع حد للحكم المطلق، كما أسهمت في إرساء نموذج جديد للحكم يقوم على التوازن بين السلطات واحترام القانون[4].

---

[1] – Harris, Ibid, P153-155

[2] – برون جيفري، المرجع السابق، ص271

[3] – عبد الفتاح حسن أبو علية، المرجع السابق، ص161

[4] – Harris, Ibid, P179-181

وعلى المستوى الأوروبي، شكّلت هذه الثورة نموذجًا يُحتذى به في التحولات السياسية اللاحقة، خاصة في سياق صعود الفكر الدستوري. كما كان لها تأثير غير مباشر على تطور الفكر السياسي الذي سيبلغ ذروته لاحقًا في أحداث كبرى مثل الثورة الفرنسية.

في الختام، يمكن القول إن الثورة المجيدة لم تكن مجرد تغيير في شخص الحاكم، بل كانت تحولًا جذريًا في بنية النظام السياسي، حيث أعادت تعريف العلاقة بين السلطة والمجتمع، ورسخت مبادئ دستورية ستظل مؤثرة في الفكر السياسي الحديث، وقد جاءت هذه الثورة نتيجة تفاعل معقد بين عوامل داخلية وخارجية، مما يجعلها نموذجًا مهمًا لفهم طبيعة التحولات السياسية في أوروبا الحديثة.

المحاضر 11: الثورة الفرنسية 1798

تُعدّ الثورة الفرنسية من أبرز التحولات المفصلية في التاريخ الحديث، إذ مثّلت لحظة انتقال نوعي من نظام الحكم المطلق إلى نظام جديد يقوم على سيادة الأمة والمواطنة، ولم تقتصر آثارها على فرنسا، بل امتدت إلى أوروبا والعالم، محدثة تغييرات عميقة في البنى السياسية والاجتماعية والفكرية، ولم تكن هذه الثورة وليدة لحظة عابرة، بل جاءت نتيجة تراكم طويل من الأزمات البنيوية التي مست مختلف جوانب الحياة الفرنسية، وتفاعلت فيما بينها حتى بلغت نقطة الانفجار في أواخر القرن الثامن عشر.

أسباب الثورة

1-الفكرية

شهدت فرنسا خلال القرن الثامن عشر ازدهارًا كبيرًا فيما عُرف بعصر الأنوار، حيث برزت حركة فكرية نقدية استهدفت تقويض أسس النظام القديم، سواء في جانبه السياسي أو الديني أو الاجتماعي، وقد لعب مفكرون بارزون دورًا حاسمًا في هذا التحول، إذ انتقد فولتير الاستبداد والتعصب الديني، ودعا إلى التسامح وإصلاح القضاء، بينما قدّم مونتسكيو في كتابه *روح القوانين* نظرية الفصل بين السلطات كضمانة أساسية للحرية ومنع الاستبداد، أما جان جاك روسو فقد ذهب أبعد من ذلك حين أكد في *العقد الاجتماعي* أن السيادة تعود إلى الشعب، وأن السلطة يجب أن تستند إلى الإرادة العامة، وهو تصور أحدث تحولًا جذريًا في الفكر السياسي، كما ساهمت حركة الموسوعيين في نشر هذه الأفكار بين فئات واسعة من المجتمع، مما أدى إلى ارتفاع مستوى الوعي النقدي، وتهيئة الرأي العام لتقبل التغيير، بل والمطالبة به[1].

[1]- زينب عصمت راشد، *تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر*، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت، ص ص 16-17

2-السياسية

أما على المستوى السياسي، فقد كان النظام الملكي في فرنسا قائمًا على الحكم المطلق المستند إلى نظرية الحق الإلهي، حيث احتكر الملك جميع السلطات دون وجود مؤسسات رقابية فعالة، وقد استمر لويس السادس عشر في هذا النهج، رغم التغيرات الفكرية والسياسية التي شهدها عصره، إلا أن ضعف شخصيته وتردده في اتخاذ القرارات الحاسمة جعلاه عاجزًا عن مواجهة الأزمات المتصاعدة، كما أن فشل محاولات الإصلاح، سواء بسبب مقاومة الطبقات المتمتعة بالامتيازات أو بسبب تردد السلطة، أدى إلى تفاقم الوضع، وإلى جانب ذلك، تأثر الفرنسيون بالنموذج السياسي الإنجليزي القائم على الملكية الدستورية، حيث يشارك البرلمان في الحكم، وهو ما زاد من إدراكهم لإمكانية قيام نظام بديل أكثر عدالة وتوازنًا[1].

3-إجتماعيا

وعلى الصعيد الاجتماعي، كان المجتمع الفرنسي يقوم على نظام طبقي صارم يقسم السكان إلى ثلاث طبقات: النبلاء، ورجال الدين، والطبقة الثالثة التي ضمت غالبية السكان، وقد تمتع النبلاء ورجال الدين بامتيازات واسعة، أبرزها الإعفاء من الضرائب واحتكار المناصب العليا، في حين تحملت الطبقة الثالثة، التي تشمل البرجوازية والعمال والفلاحين، العبء الأكبر من الضرائب دون أن تتمتع بحقوق سياسية تتناسب مع دورها الاقتصادي، وقد أدى هذا التفاوت إلى تصاعد الشعور بالظلم الاجتماعي، خاصة مع تنامي دور البرجوازية التي أصبحت قوة اقتصادية وثقافية مؤثرة، لكنها بقيت مهمشة سياسيًا، ومع تزايد الوعي، بدأت هذه الطبقة تطالب بإعادة توزيع السلطة بما يتناسب مع وزنها الحقيقي في المجتمع[2].

---

[1]- جلال يحي، *التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر*، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، د.ت، ص 252.

[2]- نفسه، ص 244-245.

4- إقتصاديًا

أما اقتصاديًا، فقد عانت فرنسا من أزمة مالية خانقة نتيجة تراكم الديون بسبب الحروب الطويلة منذ عهد لويس الرابع عشر، واستمرار الإنفاق المفرط في العهود اللاحقة، وقد زادت هذه الأزمة تعقيدًا بسبب النظام الضريبي غير العادل الذي أعفى الطبقات المتميزة من الضرائب، مما حمّل العبء الأكبر على الطبقات الدنيا، وقد حاول وزراء مثل جاك نيكر تنفيذ إصلاحات مالية، إلا أن هذه المحاولات فشلت نتيجة مقاومة النبلاء ورجال الدين، كما ساهمت الأزمات الزراعية في السنوات التي سبقت 1789 في ارتفاع أسعار المواد الأساسية، خاصة الخبز، مما أدى إلى تفاقم معاناة الفئات الشعبية وانتشار البطالة، وهو ما هيّأ الأرضية لانفجار شعبي واسع[1].

أهم أحداث الثورة

شهدت فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر أزمة مالية واقتصادية خانقة، بلغت ذروتها في صيف 1788م، نتيجة تراكم الديون، وتراجع المداخيل، وسوء المحاصيل الزراعية، وقد دفعت خطورة الوضع الملك لويس السادس عشر إلى البحث عن مخرج مؤسسي للأزمة، فتم اللجوء إلى استدعاء مجلس الطبقات، بناءً على مقترح وزير المالية جاك نيكر، الذي رأى ضرورة إشراك الأمة في معالجة الأزمة عبر تمثيلها التقليدي[2].

انعقد مجلس الطبقات في 5 مايو 1789م، غير أن الخلاف سرعان ما برز حول آلية التصويت، إذ تمسّك ممثلو الطبقة الثالثة بمبدأ التصويت الفردي بدل التصويت حسب الهيئات، وهو ما رفضه الملك والنبلاء ورجال الدين، إدراكًا لما يحمله من تهديد لمصالحهم. وفي خضم هذا الصراع، برز

---

[1]- شوقي عطا الله الجمل وآخرون، *تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة*، القاهرة: المكتب المصري، 2000م، ص ص 89-90.

[2]- لويس عوض، *تاريخ الفكر الأوروبي الحديث*، القاهرة، ص ص 30-41.

دور إيمانويل جوزيف سيييس، الذي أسهم فكريًا في بلورة تصور جديد للسيادة، يقوم على اعتبار الأمة مصدرًا للسلطة. وقد تُوِّج هذا التحول بإعلان ممثلي الطبقة الثالثة، في 17 يونيو 1789م، أنفسهم جمعية وطنية، في خطوة جسّدت انتقال الشرعية من الملك إلى الأمة.

ومع محاولة السلطة الملكية احتواء هذا التحول، لجأ النواب إلى قاعة ملعب التنس في 20 يونيو 1789م، حيث أدّوا قسمًا جماعيًا تعهّدوا فيه بعدم الانفصال قبل وضع دستور للبلاد، فيما عُرف بـ"قسم ملعب التنس". وقد شكّل هذا الحدث منعطفًا حاسمًا، عبّر عن إرادة سياسية جماعية في تأسيس نظام دستوري جديد. وفي 23 يونيو، حاول الملك فرض رؤيته الإصلاحية، غير أن موقف النواب، المدعوم بخطاب أونوريه غابرييل ريكيتي، كونت ميرابو الرافض للخضوع، أكد أن ميزان القوة بدأ يميل لصالح ممثلي الأمة.

في سياق تصاعد التوتر السياسي والاجتماعي، خاصة بعد إقالة نيكر في 12 يوليو 1789م، شهدت باريس اضطرابات شعبية واسعة، غذّتها أزمة الخبز وارتفاع الأسعار وانتشار البطالة، وقد أخذت هذه الاضطرابات طابعًا ثوريًا منظمًا، تمثّل في تشكيل حرس وطني بقيادة ماركيز دي لافاييت، بهدف حفظ النظام وتأطير الحركة الشعبية.

بلغت هذه التطورات ذروتها في 14 يوليو 1789م، حين اقتحمت الجماهير سجن الباستيل، الذي كان رمزًا للاستبداد الملكي. ولم يكن سقوط الباستيل مجرد حدث عسكري محدود، بل حمل دلالة رمزية عميقة، باعتباره إعلانًا عن انهيار شرعية النظام القديم وبداية مرحلة ثورية جديدة[1].

وقد ترتب على هذا الحدث تفكك نسبي في السلطة المركزية، وانتقال النفوذ في باريس إلى الهيئات البلدية والحرس الوطني، في حين شهدت الأقاليم موجة من الانتفاضات الفلاحية ضد النظام الإقطاعي، فيما عُرف بـ"الخوف الكبير"، وأمام هذا الضغط الثوري، اضطرت الجمعية الوطنية إلى

---

[1]– شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، *المرجع السابق*، ص 100–104.

اتخاذ قرارات جذرية، كان أبرزها مراسيم 4 أغسطس 1789م، التي ألغت الامتيازات الإقطاعية وأرست مبدأ المساواة القانونية بين المواطنين[1].

وفي 26 أغسطس 1789م، أصدرت الجمعية الوطنية وثيقة إعلان حقوق الإنسان والمواطن 1789، التي شكّلت الإطار النظري للنظام الجديد، حيث نصّت على مبادئ الحرية والمساواة وسيادة الأمة، وضمان الحقوق الطبيعية، كالملكية والأمن ومقاومة الاستبداد. وقد تأثرت هذه الوثيقة بأفكار فلاسفة الأنوار، مثل جان جاك روسو ومونتسكيو، وأصبحت مرجعًا عالميًا في الفكر السياسي الحديث[2].

غير أن العلاقة بين الملك والثورة سرعان ما تدهورت، خاصة بعد محاولة لويس السادس عشر الفرار في يونيو 1791م، حيث تم اعتقاله في فارين وإعادته إلى باريس. وقد أدى هذا الحدث إلى تقويض الثقة في الملك، وتسريع الانتقال نحو الخيار الجمهوري[3].

وفي ظل تصاعد التهديدات الداخلية والخارجية، وتنامي نفوذ التيارات الراديكالية، برزت شخصيات مثل ماكسيميليان روبسبير وجورج جاك دانتون، خاصة داخل نادي اليعاقبة، حيث تم تبني سياسات أكثر حدة لحماية الثورة، وفي 21 سبتمبر 1792م، أعلن المؤتمر الوطني إلغاء الملكية وقيام الجمهورية الفرنسية الأولى، في تحول جذري أنهى قرونًا من الحكم الملكي.

---

[1]– لويس عوض، *المرجع السابق*، ص ص 30–41

[2]– ميلاد المقرحي، *تاريخ أوروبا الحديث (1453–1848م)*، بنغازي: دار الكتب الوطنية، 1996م، ص ص 280–290

[3]– لويس عوض، *المرجع السابق*، ص ص 30–41

وتُوِّج هذا المسار بإعدام الملك في 21 يناير 1793م، في خطوة رمزية وسياسية جسّدت القطيعة النهائية مع النظام القديم، وفتحت المجال أمام مرحلة جديدة اتسمت بتصاعد العنف الثوري وإعادة تشكيل الدولة على أسس جمهورية[1].

إنعكاساتها

تُعدّ الثورة الفرنسية حدثًا مفصليًا في تاريخ فرنسا وأوروبا، نظرًا لما خلّفته من تحولات عميقة على المستويين الداخلي والخارجي، فقد شكّل سقوط سجن الباستيل على يد الثوار في 14 يوليو 1789م أهم انتصار رمزي وسياسي، إذ مثّل بداية الانهيار الفعلي للنظام الإقطاعي، وتجسيدًا عمليًا لشعارات الثورة الثلاث: الحرية، والمساواة، والإخاء، كما تزامن ذلك مع بروز وثيقة إعلان حقوق الإنسان والمواطن 1789 التي عبّرت عن فلسفة الطبقات الاجتماعية الجديدة وأسست لمفهوم الحقوق الطبيعية[2].

ويُعدّ إعلان الجمهورية الفرنسية الأولى في 21 سبتمبر 1792م من أبرز المنعطفات في تاريخ فرنسا، حيث تم إلغاء الملكية رسميًا، وبدأ التفكير في مصير الملك لويس السادس عشر، الذي أُعدم في 21 يناير 1793م[3]، ولا شك أن هذا الحدث شكّل ضربة قاصمة لفكرة الملكية التقليدية، إذ أُعدم الملك كأي مواطن عادي، مما أدى إلى انهيار مبدأ الحق الإلهي الذي كان يضفي على الملكية طابعًا مقدسًا[4].

---

1 –Renaud Exande, Le Liver Noir De La Révolution ,(PARIS ; Francia se cerf ; 2008), P 127,128.

2– لويس عوض، *المرجع السابق*، ص 7

3– شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، *المرجع السابق*، ص ص 116، 119

4– ميلاد المقرحي، *المرجع السابق*، ص 296

وقد ترتب على إعدام الملك نتائج خطيرة، داخليًا وخارجيًا. فعلى الصعيد الداخلي، أسهم هذا الحدث في صعود التيار الراديكالي، خاصة "حزب الجبل"، ومهّد لبداية مرحلة عُرفت بعهد الإرهاب، حيث سادت أجواء من الشك والتخوين، واتُّهم كل من عارض إعدام الملك أو دعا إلى استفتاء شعبي بالخيانة، كما شهدت المدن الفرنسية اضطرابات متزايدة[1].

أما على الصعيد الخارجي، فقد أثار إعدام الملك ردود فعل عنيفة لدى ملوك أوروبا، الذين اعتبروا ما حدث تهديدًا مباشرًا لأنظمتهم، وقد أدى ذلك إلى تصاعد التوتر بين فرنسا والدول الأوروبية، خاصة بريطانيا والنمسا وبروسيا، مما أسفر عن تشكيل تحالفات دولية ضد فرنسا، ودخولها في صراعات عسكرية واسعة، تكبّدت خلالها خسائر مؤقتة وتخلّت عن بعض الأراضي التي كانت قد احتلتها[2].

وفي ظل هذه التحديات، اندلعت ثورات مضادة داخل فرنسا، من أبرزها تمرد إقليم لافنديه، الذي قاده النبلاء ورجال الدين، وأمام خطورة الوضع، لجأ المؤتمر الوطني إلى تركيز السلطة في يد هيئة تنفيذية عُرفت بـ"لجنة الأمن العام"، إلى جانب إنشاء "المحكمة الثورية"، بهدف قمع المعارضة الداخلية. وقد تمكّن "اليعاقبة" من خلال هاتين المؤسستين من فرض سيطرتهم وإعادة الاستقرار النسبي، وكان جورج جاك دانتون من أبرز الشخصيات التي ساهمت في هذه المرحلة[3].

وقد تولّى دانتون الإشراف على لجنة الأمن العام بين أبريل ويوليو 1793م، غير أن تطورات 3 يونيو 1793م أدت إلى صعود التيار الأكثر تشددًا بقيادة ماكسيميليان روبسبير، الذي ترأس اللجنة

---

[1]– شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، *المرجع السابق*، ص 117.

[2]– نفسه، ص ص 116، 119

[3]– ميلاد المقرحي، *المرجع السابق*، ص 296

لاحقًا (1793–1794م)، حيث عمل على قمع الثورات الداخلية ومواجهة الأخطار الخارجية، في إطار سياسة صارمة عُرفت بعهد الإرهاب.

وفي مرحلة لاحقة، انتقلت فرنسا إلى نظام "حكومة الإدارة" (1795–1799م)، بموجب دستور 1795م (دستور السنة الثالثة)، الذي سعى إلى إرساء توازن بين السلطات، ومن أبرز سمات هذه المرحلة: تصاعد نفوذ القادة العسكريين، واستمرار الأزمات الاقتصادية، والتوتر بين السلطة التنفيذية والهيئة التشريعية.

ومع نهاية هذه المرحلة، برزت شخصية نابليون بونابرت، الذي استولى على السلطة سنة 1799م، وأسس نظام القنصلية ثم الإمبراطورية (1804–1814م)، وقد تميّز عهده بإعادة بناء الدولة على أسس مركزية قوية، مع الاحتفاظ ببعض مكتسبات الثورة، وإن كان قد حدّ من الطابع الديمقراطي للنظام.

وعمومًا، فإن السياسة الفرنسية خلال عهد نابليون اتجهت نحو التوسع العسكري في أوروبا، مما جعل تاريخ هذه المرحلة مرتبطًا إلى حد كبير بشخصيته، حيث أصبحت فرنسا قوة مهيمنة، رغم ما حمله ذلك من تناقض مع المبادئ الإنسانية التي بشّرت بها الثورة[1].

[1]– شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، *المرجع السابق*، ص ص 116، 119

المحاضرة 12: الحركة الإستعمارية الأوروبية في القرنين 18و19م

1-مفهوم الاستعمار

الاستعمار هو ظاهرة تهدف إلى سيطرة دولة قوية على دولة ضعيفة وبسط نفوذها من أجل استغلال خيراتها في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهي بالتالي نهب وسلب لمعظم ثروات البلاد المستعمرة، فضلًا عن تحطيم كرامة شعوب تلك البلاد وتدمير تراثها الحضاري والثقافي، وفرض ثقافة الاستعمار على أنها الثقافة الوحيدة القادرة على نقل البلاد المستعمرة إلى مرحلة الحضارة، الاستعمار إخضاع جماعة من الناس لحكم أجنبي، ويسمى سكان البلاد المستعمَرين، وتسمى الأراضي الواقعة تحت الاحتلال؛ البلاد المستعمَرة، ومعظم المستعمرات مفصولة عن الدولة المستعمِرة ببحار ومحيطات، وغالبًا ما ترسل الدولة الأجنبية سكانًا للعيش في المستعمَرات وحكمها واستغلالها مصادر للثروة، وهذا ما يجعل حكام المستعمَرات منفصلين عرقيًا عن المحكومين[1].

2-أهداف الاستعمار

- **الأهداف السياسية**

---

[11]- عمر عبد الناصر، المرجع السابق، ص36

وتتمثل الأهداف السياسية في تحسين مركز الدولة الاستعمارية في التنافس على المراكز المتقدمة على سلم القوى الدولي، إذ إن تحسن المركز الدولي للدولة يوسع دائرة نفوذها في المجتمع الدولي والمحلي، ويجعلها أكثر قدرة على التحكم في القرارت الدولية وتوجيهها لصالحها، ويمكن اعتبار مؤتمر برلين عام (1884م) مؤشرًا على ذلك، فقد عُقد هذا المؤتمر بسبب الصراع بين الدول الاستعمارية على مناطق النفوذ [1] .

ويفسر العالم الأمريكي هانز مورغنثاو الإمبريالية بأنها سياسة تستهدف قلب الوضع القائم والقيام بمراجعة علاقات القوى بين دولتين أو أكثر من أجل تحقيق تفوق محلي أو إقامة إمبراطورية قارية أو تحقيق هيمنة عالمية ويرى أن الدول كالأفراد لديها "شهوة القوة" أي الرغبة في تحسين وضعها باستمرار، من غير الاقتناع بالوضع القائم.

ولكي تتمكن الدولة الاستعمارية من تعزيز مركزها الدولي في إطار هذا التنافس، لا بد لها من زيادة مواردها، وهو أمر يستدعي البحث عن موارد خارج حدودها، فقامت هذه الدول بالإجراءات الآتية:

- تمويل بعثات الاستكشافات الجغرافية التي تستهدف البحث عن مناطق غنية بالموارد أو يمكن الاستثمار فيها، ومن أمثلة ذلك تمويل رحلة فاسكو دي غاما البرتغالي الذي اكتشف الطريق إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح في رحلته التي دامت من 1497 إلى 1498م وتمويل الإسبان لبعثة كريستوفر كولومبوس الذي اكتشف السواحل الأمريكية البهاما عام1492م وتمويل بعثة ماجلان الذي وصل إلى سواحل أمريكا الجنوبية عام1519م، وعبر الباسيفيكي (الهادي) إلى الفلبين حيث قتل هناك، كما تعرضت القارة الأفريقية إلى حملات استكشافية في القرن الخامس عشر الميلادي، لا

[1]– يحي بوعزيز، الاستعمار الأوروبي الحديث فيإفريقيا وآسيا وجزر المحيطات، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص12

سيما المناطق الساحلية، وتواصلت هذه الحملات إلى القارة الأفريقية حتى القرن التاسع عشر من البعثات البريطانية والفرنسية والألمانية[1].

- الاحتلال العسكري المباشر للمناطق الغنية بالموارد، وإرسال موجات من المستوطنين في بعض الأحيان إلى المناطق التي تمت السيطرة عليها، ومن أمثلة الاحتلال العسكري المباشر: الاحتلال البريطاني لعدن عام1839م، ولمصر عام1882 م، ولنيجريا ابتداء من عام1861 م، والاحتلال الفرنسي للجزائر عام1830 م، ولفيتنام عام1858 م، أما المناطق التي عرفت استعمارًا استيطانيًا فمن أمثلتها: الاستيطان الصهيوني في فلسطين، والاستيطان الهولندي في جنوب أفريقيا منذ عام1652 م، والاستيطان البريطاني فيها منذ 1823م.
- السيطرة على المواقع الاستراتيجية: يستدعي تعزيز المركز الدولي للدولة الاستعمارية سيطرتها على المواقع التي تمثل مراكز، يمكن منها السيطرة على طرق المواصلات أو التحكم بمنابع بعض الأنهر أو مجاريها، أو منع تشكيل أحلاف متصلة جغرافيا مع بعضها[2].

- **الأهداف الاقتصادية**

الحصول على المواد الخام :أدت الثورة الصناعية التي عرفتها أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر إلى حاجة الدول الأوروبية إلى المواد الخام التي اعتمدت عليها الصناعات الجديدة.

---

[1]– سماحي جواد، المرجع السابق، ص491

[2]– كركب عبد الحق، المرجع السابق، ص24

ولسد حاجة مصانع الدول كافة من المواد الخام، اندفعت الدول الأوروبية تبحث عن هذه المواد في أرجاء العالم) كالقطن من مصر، والماس والذهب من جنوب أفريقيا والأراضي الزراعية في الشمال الأفريقي[1].

- **الأهداف الثقافية**

ويتلخص الهدف الثقافي للدولة الاستعمارية في إعادة تشكيل المنظومة الثقافية لمجتمع المستعمرات، لجعله أكثر ارتباطًا بالدولة المستعمرة.

عند إلقاء نظرة على الخريطة اللغوية للعالم، نجد أن لغة المستعمر تحل مكان اللغة المحلية في البلدان المستعمرة؛ فأغلب المستعمرات الإسبانية في أمريكا اللاتينية تستخدم اللغة الأسبانية لغة رسمية، وتعد الإنجليزية اللغة الرسمية لعدد من
المستعمرات البريطانية مثل :الهند ونيجيريا وجنوب أفريقيا، كما تعد الفرنسية اللغة الرسمية في المستعمرات الفرنسية مثل تشاد ومالي والسنغال، وتعد اللغة البرتغالية لغة موزمبيق الرسمية بوصفها مستعمرة برتغالية سابقة.

وإذا طبقنا ذلك على اللغة الثانية في عدد من الدول، فسنجد أنها لغة المستعمر، كما هو حال الإنجليزية في العراق ومصر والأردن، والفرنسية في دول المغرب العربي، وهو أمر ينسجم مع ما قاله العالم تريتشكا من: أن اللغة هي أساس التجارة المزدهرة، إذ إن الأمة لا تفقد مستعمراتها المرتبطة بها باللغة والثقافة حتى لو انقطعت الرابطة السياسية[2].

- **الأهداف الدينية**

---

[1]– يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص10

[2]– كركب عبد الحق، المرجع السابق، ص32

ارتبط عدد من الحملات الاستعمارية بوجود بعثات وارساليات تبشيرية دينية، وقد نجح عدد منها في تنصير قطاعات من سكان المستعمرات، وكان أبرز حالات النجاح في هذا المجال في الدول الإفريقية مثل جنوب السودان وجنوب نيجيريا[1].

- **الأهداف الاجتماعية**

لتخفيف الضغط السكاني عندها بالسيطرة على أقاليم معينة ونقل الفائض السكاني إليها، وهو ما اعتمدته ألمانيا وإيطاليا واليابان في الحربين العالميتين، ولذا فإن من حق الدول الاستعمارية أن تنمو على حساب المناطق التي فيها أماكن للفائض السكاني، وقد قامت في أوروبا عند اشتداد البطالة في القرن التاسع عشر مدرسة الإصلاح الاستعماري التي دعت لتحويل الفائض السكاني إلى المستعمرات واستخدامهم في الزراعة، وكان في بريطانيا في هذه الفترة (103) جمعيات لهذا الغرض، لا شك ان المناطق التي اتخذها الاستعمار الأوروبي هدفاً له كانت على درجة كبيرة من الضعف والتأخر الاقتصادي والسياسي والعسكري والعلمي، وكان هذا دافعاً قوياً للدول على التوسع[2].

3-أنواع الاستعمار

- **الاستيطان**

حيث تقوم الدول الاستعمارية بدعوة مواطنيها كي يهاجروا إلى الدول التي لهم رغبة بها من أجل نهب كل الثروات والخيرات التي تنعم بها.

ويعتبرون تلك الأفعال بأنها حق مكتسب لهم دون النظر إلى انتهاك الحريات وسرقة الأوطان.

---

[1]- عمر عبد الناصر، المرجع السابق، ص33

[2]- يحي بوعيز، المرجع السابق، ص11

ومن أجل تحقيق الهدف في الاستيطان يمكنهم اللجوء إلى أساليب العنف والقمع وسفك الدماء، ويصل الأمر إلى طرد تلك الشعوب من أرضها ليحل المستعمرين محلهم وهذا ما يحدث في فلسطين من قبل سلطات الاحتلال[1].

- **الاحتلال العسكري**

هو احتلال دولة قوية لواحدة من الدول القوية دون سابق إنذار عن طريق القوة العسكرية، وهي تعلم أنها ليست لديها قدرة للدفاع عن نفسها لأنها فقيرة لا تمتلك المال أو السلاح، حيث تقوم بفرض سيطرتها الكاملة على البلاد داخلياً وخارجياً وهنا تكون الفرصة متاحة أمامها لسرقة كل ما ترغب من أرضها وهذا فعلته فرنسا بدول المغرب العربي في القرن الماضي[2].

- **الحماية**

وهي عبارة عن معاهدة أو اتفاقية يجبر المستعمر حاكم الدولة على توقيعها بالشروط التي يراها مناسبة له، وهي ما يسمى بالاستعمار المقنع الذي يكون ظاهره الدفاع عن الدولة وحمايتها، ولكن في باطنه غرض آخر وهو التحكم وفرض النفوذ من أجل تحقيق المطامع، عن طريق نهب الثروة والأرض التي يريد الحصول عليها كي يستفيد شعبها.

وهذه المعاهدة تعطي الحق للمستعمر التدخل كما يحلو له في كل الأمور السياسية والعسكرية والاقتصادية وغيرها، لأنه بموجبها هو الحاكم الفعلي للبلاد أما الحاكم الشرعي لا يكون أكثر من صورة.

- **الانتداب**

هو أحد المواثيق التي قامت عصبة الأمم المتحدة بإصدارها بعد الحرب العالمية الأولى، وبمقتضاه أتاحت للدول الاستعمارية وتحديدا إنجلترا وفرنسا التدخل في شئون الدول الضعيفة وخاصة التي

---

[1]– نفسه، ص14

[2]– عمر عبد الناصر، المرجع السابق، ص36

فقدتها ألمانيا والدولة العثمانية في الحرب، بغرض حماية تلك البلاد ومساعدتها على التطور وتعليمها أصول الحكم الصحيح، ولكن الحقيقة تختلف عن هذا لأن الغرض الأساسي هو السيطرة الكاملة عليها والتحكم في الشأن الداخلي، كما ترغب من الاستفادة الاقتصادية التي تخرج من مناجمها ومن باطن الأرض[1].

- **الوصاية**

هو واحد من الأنظمة التي شرعتها منظمة الأمم المتحدة من أجل التحكم في كل ما تملكه الدول التي هزمت في الحرب، تحت وصاية المنظمة بغرض الحفاظ على الحقوق والموارد التي يمتلكها الشعب، ولكن هذا ليس إلا كلام مضل يحمل في باطنه أطماع كثيرة ترغب في الاستيلاء على كل شيء يحقق فائدة للمستعمر، وهذا ما سمح للدول الاستعمارية أن تنهب وتسرق وتقتل مواطني تلك البلاد، والوصاية لا تختلف في مضمونها عن الانتداب فكلاهما استعمار مقنع[2].

- **البيبليوغرافيا**

1-البرعي أحمد حسم ، الثورة الصناعية وأثارها الاجتماعية والقانوني، دار الفكر العربي، القاهرة.

2-الصباغ عبد اللطيف ، محاضرات في تاريخ أوروبا الحديث، جامعة بنها، مصر.

3-ابن أزوار فتح الدين ، محاضرات في تاريخ النهضة الأوروبية، قسم التاريخ جامعة المسيلة، 2016-2017.

4-ميلاد المقرحي، *تاريخ أوروبا الحديث (1453-1848م)*، بنغازي: دار الكتب الوطنية، 1996م

[1]- يحي بوعيز، المرجع السابق، ص18

[2]- عمر عبد الناصر، المرجع السابق، ص36

5-برون جيفري ، تاريخ أوروبا الحدبث، ط1، تر: علي المزروقي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2006.

6-برون جون ، تاريخ أوروبا الحديث، ط1، تر:علي المزروقي، الأهلية للنشروالتوزيع، 2006م،الأردن.

7-بوربير بيار إف ، أوروبا التنوير، تر: محمد علي مقلد، ط1، دار الكتاب الجديد، 2004.

8-

9-بوعزيز يحي ، الاستعمار الأوروبي الحديث فيإفريقيا وآسيا وجزر المحيطات، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009

10- سماحي جواد، البعد الإقتصادي للصدام العثماني الأوروبي في القرن 10 هجري/16 ميلادي، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد04، العدد:02، 2021

11- شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق، تاريخ أوروبا، المكتب الوطني لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000م.

12- عاشور سعيد عبد الفتاح ، الحضارة الاسلامية،ط1، المعهد العالي للدراسات الاسلامية، القاهرة.

13- عبد العزيز نوار ومحمود محمد جمال، التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة حتى نهاية الحرب الباردة، دار الفكر العربي، مدينة نصر، 1999م.

14- عبد العظيم رمضان، تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.

15- عبد الفتاح حسن أبو علية تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ط2، دار المريخ، الرياض، 1993م.

16- عصمت راشد زينب ، *تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر*، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت، ص ص

17- عوض لويس ، ثورة الفكر في عصر النهضة الأوروبية، ط1، مركز الأهرام للنشر والترجمة، 1987، القاهرة.

18- عمر عبد العزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992.

19- عيسى علي إبراهيم، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000.

20- عبد الفتاح أبو علية، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ط3، دارالمريخ، الرياض، 1993.

21- عمران شاكر الدوري، حرب الثلاثين عاما 1618-1648م، مجلة ، المجلد10، العدد38، جامعة سامراء، 2014.

22- عمر عبد الناصر، محاضرات في تمقياس تاريخ الإستعمار وحركلت التحرر في إفريقيا وأسيا في القرنين التاسع عشر والعشرين، قسم التاريخ، جامعة قالمة.

23- هشام صالح، مدخل إلى التنوير الأوروبي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2005.

24- كارلتون هيلزر، الثورة الصناعية، ط1، تر: أحمد عبد الباقي، مطبعة العاني، بغداد، 1950م.

25- كارلن ديجر، شارلمان، تر: الباز العريني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة

26- كركب عبد الحق، محاضرات في تاريخ إفريقيا وآسيا في القرن 20، قسم العلوم الإنسانية، جامعة تيارت.

27- لطفي يحيا، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991

28- محمود شاكر، الكشوف الجغرافية دوافعها وحقسقتها، ط2، المكتبة الإسلامية، بيروت، 1988.

29- ياغي إسماعيل أحمد ، أثر الحضارة الاسلامية في الغرب، ط1،، مكتبة العبيكان الرياض، 1997.

30- يحي جلال ، *التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر*، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، د.ت.

مراجع باللغة الأجنبية

1- Mahmoud Gawdat Qabaha, The impact of Greek thought on the intellectual renaissance in Europe, Journal of Economic, Administrative and Legal Sciences, Vol 7, Issue 5 , 2023

2- Tim Harris, *Revolution: The Great Crisis of the British Monarchy, 1685–1720,* London: Penguin Books, 2006, p. 106-108.

3- Renaud Exande, Le Liver Noir De La Révolution_,(PARIS ; Francia se cerf ; 2008)